أنا و الآخر

أنا والآخر

أحمد محمد الفخراني

تدقيق لغوي : دينا نسريني

تصميم الغلاف : محمد عبد العزيز

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٢٣٦٤٣

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٢٥٨- ٦

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من شـــ الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١٤٤٥٥٢٥٥٧ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

E – mail :daroktob١@yahoo.com

Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م

أنا والآخر

أحمد محمد الفخراني



دار اكتب للنشر والتوزيع

إلى روح الشهيد/ ممدوح الفخرانى

مقدمة

أخى الإنسان فى أىّ مكان على وجه الأرض، مهما كانت ثقافتك أو عقيدتك، إنى أعرفك جيدًا، ليس بالاسم أو العنوان، بل الإنسان بأمنياته الواحدة فى الحب والسلام، أليس من حقنا نحن الأفراد التى سُميت بنا شعوب أن نفكر ونبحث عن حلول لقضايانا التي تفرق بيننا، وجعلت الدنيا باتساعها نفقًا ضيقًا، نتزاحم بداخله نفسيًا وجسديًا، وما يتبع ذلك من نتائج لا نرضاها جميعًا، وعلى رأس هذه القضايا قضية الثقافات والحضارات وتصادمها.

ألا يجب أن نفكر بعد أن طال الانتظار طويلاً، مئات بل آلاف السنين، أن يأتى الحل من أهل القمة المنوط بهم حل هذه القضايا، ولكن أثبت التاريخ بذلك أن الطريقه والأسلوب الذى اتبع، مع تغيّر أشكاله لم يصل بنا إلى ما نرجوه من سلام وتقارب بيننا، فلماذا لم نشارك ونجدد الفكر بشكل وأسلوب آخر، بأن يكون الحل من القاعدة أى نحن الأفراد خلف أو بعيدًا عن المؤتمرات وما شابه، لأنها قضيتنا ونحن ضحاياها، وبذلك سيشارك الجميع بأفكار أو دعم الأفكار التى نقتنع بها.

فأنت أخى الإنسان الذى يقرأ هذه السطور معنىٌ ومدعو بصفة شخصية لنلقى الضوء سويًا على صورة فى شكل وجوهر نرضى عنه ونتمناه جميعًا، إذا كنت الآخر بالنسبة لى، وأنا الآخر بالنسبه إليك.

البداية

بعد عودتى من العمل حاولت الاسترخاء حتى تقوم زوجتى بإعداد الطعام، فتحت التليفزيون، وللحظ كانت على قناة إخبارية تنقل حدث الساعة، فرأيت قطارًا جميلاً سريعًا، فى لقطات مختلفة، فشعرت بشئ من القلق، هل هذه أمور عادية أو مختطف أو به مشكلة، ولكن قطع علىّ المذيع توقعاتى المضطربة بقوله إن هذا القطار أحدث قطار بالعالم، وأول رحله له، وتمت بنجاح، فتحوّل القلق إلى ارتياح، ولكن فى بعض الأحيان تتاح لى الظروف أن أسال نفسى في مثل هذا الموقف، لماذا أغضبنى هذا الشئ، وكان لى ذلك فى لحظات، والسؤال لماذا أسعدك سلامة القطار مع إننى لم أعرف حتى البلد المالكة لهذا القطار، وبها هذه الرحلة، فوجدت أن هذا السؤال غير مقبول نفسيًا وفكرياً معاتبًا نفسى، لأنه لو سئل لأىّ إنسان سوىّ على وجه الأرض، سيتمنى نجاح كل الرحلات، بصرف النظر عن تكلفة أو ثمن القطار، بل لأن به كل الدنيا، والأب والأخ والصديق، فى آسيا، فى أفريقيا، فى أمريكا جنس واحد، ولكن؟ سؤال يفرض نفسه، كيف يوافق الجميع على سلامة القطار ونحن فى نفس الوقت ننسف القطارات وننسف المبانى، بل ننسف أنفسنا؟!

وكأن من يفعل من كوكب آخر!

وكل ذلك يتعارض مع ما نتمناه كأفراد فى كل المجتمعات، وأقرب تفسير لذلك مع خبرتنا هو أساسه اختلاف الثقافات وتصادمها.

فأجد نفسى مع صغر هذا المشهد فى التليفزيون لهذا القطار يُدخلني فكريًا ووجدانيًا من جديد فى هذه القضية من جديد، وذلك منذ سنوات.

أسئلة وعلامات استفهام كثيرة.

كنت أحاول أن أصل لقناعة شخصية، على الأقل تشبع عقلى ونفسى، حتى تمر هذه الأحداث بأقل حدة، مما تتركه من آثار فى حياتى من غضب، وذلك بمحاولة الإجابة عن أسئلة كثيرة جداً تفرض نفسها، وعلامات استفهام أكثر فى علاقة الإنسان بالإنسان.

أكتب، أتامل، أتابع، وأسمع من كل الوسائل المعرفية المتاحة، حتى أصل لهذه القناعة، أكتب عن بعض الأحداث، ورؤيتى لها فى أوراق هنا وهناك، ويتناثر بعضها ويتبقى بعضها، أقف عند حدث أو موضوع مثار به خلاف بين الإنسان والإنسان، لا أعرف ما أخذه منى من وقت، ولا أعرف سقفًا لقناعتى الشخصية من الناحية الفكرية التى تتقبلها نفسى، حتى تقلل من درجات غضبى على ذلك، ولكن من وقت قريب بدأت رؤية تتضح عند ربط هذه الأشياء ببعضها، مع بساطتها فهى مهمه جدًا جدًا، وكلها تشير أو تقول إن القضية الكبرى بالنسبة للإنسان، ليست بهذا الحجم على الإطلاق، وحلها ليس بالصعوبة التى نتصورها، وكان ذلك مفاجأة لى لم أتوقعها، فشككت فى رؤيتى ولم أُعط نفسى سلامة الرؤية والحكم عليها، وبدأت أتحسسها فى عقول ونفس من حولى من طبقات مختلفة، وديانات وثقافات مختلفة، فلقيت ترحيبًا قويًا على بعض النقاط التى

عرضتها عليهم، والمفاجأة الأخرى لك أنك أنت أخى الإنسان، الذى يقرأ هذه السطور معنىّ بصفة شخصية بهذه القضية، مهما كانت ثقافتك، لأن بيدك الحل، نعم أنت، إذا كنت الآخر بالنسبه لى، وأنا الآخر بالنسبه إليك، وسأعرضها بالشكل الذى كنت أكتبها به من سؤال وجواب.

ولكن مع مرور أيام وسنين على هذا الحال، كانت الإجابة عن هذه الأسئلة والواقع الذى نعيشه على مستوى العالم أو على المستوى الشخصى يشير إلى شئ، وعند التأكد منه مرارًا وتكرارًا، بأن هذه القضية الكبرى على وجه الأرض بالنسبة للإنسان ليست بهذه القوه التى نراها، وكان ذلك مفاجأة لم أتوقعها، وحلها أبسط مما نتخيل وليس المطلوب غير النظر لهذه القضية من زاوية مختلفة أو بسيطة جدًا، ولن تكلفنا شيئًا سوى إعادة التفكير، وحتى ليس التفكير المتخصص، بل من زاوية يعرفها كل الناس البسطاء جدًا، يعرفها كل البشر على وجه الأرض، وأصبح عندى أمل وسعادة مؤجلة إلى حين أصل بهذه الرؤية للعالم، إلى كل إنسان، لأن فى ذلك يكمن السر، فى الإنسان بشخصه، بمفرده، ليس تحت أىّ مسمى غير الإنسان، ورأيت أن عرض هذه الرحلة على أىّ إنسان بشخصه سينطبق على أىّ إنسان آخر، سينطبق على كل البشر.

أعلم وأنا من عامة الناس أن التطرق أو الحديث عن هذه القضية، الثقافات والحضارات بالنسبة للأكاديميين والمتخصصين والقائمين عليها ليس بالشئ السهل أبدًا، فكيف لمثلى أن يتطرق

لذلك، وهذا صحيح، ولكنى لن أتطرق لتاريخ أو فلسفة أو مقارنة أىّ ثقافه أو دين أو معتقد لأىّ حضارة من هذه الحضارات، بل أتحدث مع أخى الإنسان جانبًا، مهما كانت ثقافتة أو ديانته بعيدًا عن التكتلات التى ننتمى إليها، بعيداً عن الحكومات أو المؤتمرات.

لنتحدث وننظر لهذه القضية من زاوية جديدة، نرى أنفسنا فيها بشكل مُبسّط لا يحتاج تخصصًا، ولن نتحدث عن علوم ما وراء البحار أو الفضاء، بل نتحدث عن شئ مرئى وملموس للجميع، لكل الطبقات وكل الجنسيات، نعيشه فى حياتنا اليومية من أمور مختلفه، ومنها من قتل وعنف وإرهاب بشكل مباشر أو غير مباشر على مستوى العالم، وكل ذلك يجرى مع وجود العلماء والمفكرين، والمنوط بهم حل هذه القضية.

لأن المحاولات المعروفة التقليدية خلال المؤتمرات، هى محاولات قوية لإصلاح الأفرع وليس إصلاح الجذور، والجذور هنا هى الإنسان فى تباعده عن أخيه الإنسان، وعدم تجديد نظرته له، وأن يترك البعض ليصوّر الآخر له بصورة ليست جيدة، وهى من أسباب توسيع الفجوة بينهما، بطريقة غير مباشرة أو غير مقصودة إذا قدمنا حُسن النية، وهى حتى الآن لم تصل بنا إلى نتيجة مُرضية، وبما أننا أصحاب القضية، لكوننا أفرادًا نمثل الشعوب، فلنا الحق أن نعرض أفكارًا إذا أتيحت لنا، للخروج من هذا المشهد القديم، الذى خسرنا فيه الكثير، لأن من الواضح أمامنا جميعًا أن القضية أقوى من القائمين عليها، وذلك يرجع إلى أن أدواتها ليست بأيديهم، بل بأيدينا نحن كأفراد أصحاب القضية وأدواتها فى نفس الوقت.

فلتعلم أخى الإنسان الذى يقرأ هذه السطور بصفة شخصية، أنى أختزل فيك كل البشر، وما سينطبق عليك ينطبق علىّ، وعلى كل إنسان، مثل المصل الطبى مثلاً عندما يفيد إنسانًا واحدًا فهو صالح لكل البشر.

فيجب عندما يزداد الخلاف والتوتر بين الإنسان وأخيه الإنسان فى قضية موروثة من مئات السنين، أن يكون التفكير فيها والبحث عن حل لها، بعيداً عن الانحياز لأىّ ثقافة أو عقيدة، والمرجعية التى يجب أن نستند إليها جميعًا هى الإنسان نفسه لطبيعته وفطرته، لأن الإنسان هو الحقيقة المؤكدة مائة فى المائة فى الاختلافات، فليكن الانحياز لأنفسنا كبشر أولاً، ونكون جميعًا فى جانب، وأمامنا كل الاختلافات ننظر لها نظرة واقعية، لنصل إلى ما نرجوه من حب وسلام، والله سبحانه خلقنا جميعًا من أم واحدة وأب واحد، أما اختلاف اللغة أو المكان ليس إختلافًا.

بل إنسان يبحث عن نفسه مع أخيه الإنسان، بسؤال هل أنا الجانى أم المجنى عليه، أم نحن الاثنان ضحية؟

دعنا نتفق

الحلقات متكررة من قديم الزمان وتتجدد، حتى أصبحنا إحدى حلقاتها الآن التى سينبثق منها حلقات المستقبل.

مولود صغير جديد على الأسرة، على المكان، على الثقافة أو الطائفة التى قُدّر له أن يكون فيها، باستقبال حار وأحضان دافئة مليئة بكل الحب، طبيعة بشرية خلقها الله فى نفوسنا وغرائزنا جميعًا مع اختلاف المكان والزمان، إذا كان قويًا أو ضعيفًا، لا يمكن القول أن هذا الطفل بيده شئ، إذا كنت أنا أو أنت علمونا ما تعلموه من لغة وثقافة وعادات وكل ما هو بالمجتمع، يضع الكبار علينا الرداء الذى يحمل لونًا معينًا، به نقوش ترمز إلى المجتمع الذى يعيش فيه كلٌ منا، وهى أشياء تختلف من مجتمع لآخر، وبدأنا نكبر، علمونا حب بلادنا، حب أرضنا، نسمع الأغانى والأناشيد، ونرددها حبًا فى بلادنا الجميلة، وقصص عن مواقف من البطولات والتضحيات من أجل حماية هذه الأرض والبلد، وذلك بالأدلة والبراهين التى لا تدع مجالاً للشك بأسماء وتواريخ وصور، وهى فعلاً حقيقة ولم يخدعونا، ونزداد يقينًا عندما نكبر ونصبح شبابًا، ونجد الأعداء بأعيننا، حتى وصلنا إلى درجة الاستعداد للتضحية بأرواحنا من أجل الدفاع عن بلادنا، وهذا كله طبيعى لأىّ إنسان سوىّ، فمن منا يقصر تجاه وطنه وأهله وكيانه؟

ولكن نلاحظ.. أنا وأنت، إذا كنت الآخر بالنسبة لى، وأنا الآخر بالنسبة إليك، أن أهلنا علمونا بأننا أصحاب حق، وكلٌ منهم له

أدواته فى ذلك للحفاظ على أبنائه، دفاعًا مشروعًا، والأخطاء هنا تأتى من الخوف والقلق الذى يعوق العقل، إلى أن وجدنا أنفسنا فى مواجهة بعضنا البعض، يحاول كل منا إضعاف الآخر، أعداء قادرين على القتال، وذلك مستمر من آلاف السنين.

هل نكرر ذلك فى القرن الواحد والعشرين؟ ونبدأ نعلم أولادنا ما تعلمناه، وتظل الدائرة فى اتجاه الشر، ونسلّم بذلك، ولا نستغل المستجدات للقفزة الحضارية فى شتّى المجالات من اتصال ومعرفة ورؤية كلٌ منا للآخر بوضوح شديد، بأننا لسنا مختلفين إلى هذا الحد الذى صُوّر لنا من قبل.

فى رأيى أن الطريق إلى تفادى هذه العدائية، والتخلص من تلك الفجوة المصطنعة هو التفكير بعقلانية وتجرّد، وعدم الانحياز بتعصب وتشنج لما تعلمناه، وكأنه كلام نهائى، كأنه الحكمة الجامعة، والصواب المطلق، ربما تكون تلك الأفكار التى تعلمناها جميلة وصحيحة فى مبدأها فعلاً، لكن كثيرًا ما يتم توجيهها إلى مصالح ضيقة لا أخلاقية، ودفعها إلى مناطق الحرب والكره، بدلاً من التآلف والسلام، ومحاولة التقرب والتعرف إلى الثقافات الأخرى.

أنت كإنسان وأنا كإنسان كلاً منا يعرف حاجات الآخر بشكل فطرى، تلك الرغبة فى أن نعيش فى سلام ومحبة، رغباتنا وأحلامنا الأساسية مشتركة، لن نختلف عليها، كما أن طبيعتنا الإنسانية السوية معروفة لكلينا، فيكفى أن تنظر فى مرآتك لترانى، وأن أنظر فى مرآتى لأراك.

لن نخسر شيئًا، لنكون متفاهمين، وصديقين، كما أن الوقود الذى نحتاجه إلى ذلك موجود ومتاح لنا جميعًا، وهو التفكير، العقل، ما نحتاجه هو مجرد إعادة التفكير، فكما نمنح لأجسادنا فرصة الانتقال لأماكن جديدة أكثر جمالاً واتساعًا، من الضرورى أن نمنح عقولنا الفرصة لتنتقل إلى أماكن جديدة من التفكير، بما أننا على الأقل تقدمنا زمنيًا، وصرنا فى القرن الواحد والعشرين، فكل الأفكار التقليدية القديمة لم تنجح فى حل مشاكلنا الإنسانية، ذلك لأن القائمين على حلها لا يملكون أدوات الحل، من يملك الأدوات إذن؟ صدق أو لا تصدق، أنا وأنت نملك أدوات الحل، الفرد العادى هو الحل، نحن أصحاب القضية ونحن أدوات الحل فى الوقت نفسه، فقط، يفكر كل فرد فى أخيه الإنسان منحازًا للأرض الإنسانية التى تجمعهما، أن يقدم كل فرد الحل لأخيه الإنسان فى أىّ مكان، فقط بأن يقدم له الحب والسلام بلا شرط أو قيد أو مصلحة، أن أقدم لك وتقدم لى المحبة والسلام، هذا ما أسميه "الحل الفردى"، والذى سيؤدى بدوره إلى حل جماعى يشملنا جميعًا.

لا للتماثل

أُصدّق أن أحد الأسباب المهمة التى لأجلها خلقنا الله مختلفين عن بعضنا بعضًا، هو أن نتبادل الأفكار والأشياء والحاجيات والثقافات فيما بيننا، ونحصل بالتالى، وكما هو متوقع على المحبة والمشاركة، وليس الكراهية والفُرقة.

أخى الإنسان، أنا لا أطلب منك أن تكون مثلى، فلا تطلب منى أن أكون مثلك، ليس مطلوبًا منا أن نكون متماثلين فى كل شيء، فكلٌّ منا قادر على النجاح فى مكانه وداخل ثقافته، التى يعرفها ويفهمها أكثر من غيره، كما أن كل الثقافات تكمل بعضها بعضًا فى النهاية، وبذلك يمكن لكل منا أن يضيف جمالاً إلى جمال الدنيا، ويبدع خيوطًا إضافية فى ثوب الحياة، ليس من الضرورى أن نكون فى نفس المكان والثقافة حتى يفهم كلٌّ منا الآخر، ويتسامح معه، أنا وأنت يجمعنا هذا العالم، تجمعنا اللحظة، تجمعنا فكرة الإنسانية، الكثير والكثير من الأشياء والمعانى والأفكار تجمعنا معًا، حتى ما نختلف فيه كلٌّ منا عن الآخر، فهو فى الحقيقة أحد أسباب حاجتنا للتقارب والمحبة، كما أن الأديان جميعها تدعو إلى المحبة والسلام، وهو نفسه ما تشتاق إليه أرواحنا وإنسانيتنا، ذلك نفسه هو حلمى وحلمك.

أنت هناك فى مكانك مع ثقافتك، ستصنع مكانًا جديدًا للجمال والحياة، وأنا فى ثقافتى ومكانى أضيف جمالاً جديدًا للحياة.

خلق الله العالم متنوعًا، خصبًا، واسعًا، ومكملاً لبعضه بعضًا، فلماذا نُفقره، نُضيّقه، ونخنقه، لماذا يدمر كلٌّ منا الجمال الذى يصنعه أخيه الإنسان؟

من الخطأ و قصر النظر التفكير فى أنه من الأفضل لو كان للبشر جميعًا ثقافة واحدة.

يمكن النظر إلى هذه الحياة على أنها ثوب جميل كبير، ونحن البشر من يصنع خيوط هذا الثوب، نحن ما يمثّل خيوط هذا الثوب، بتنوع ثقافاتنا وأسلوب حياتنا ولغاتنا وأماكن وجودنا، لكننا نمثّل فى النهاية هذا النسيج الواحد.

حب دينك، حب وطنك فى داخل وطنك الكبير وهو العالم.

هل نعاتب الأجداد؟

هل نعاتب الأجداد على ما تركوه لنا من خلافات وعداء للآخر، ولم يصلوا لحل فى زمانهم، أم نعيد فتح صفحات التاريخ لنعرف من المتسبب فى هذا، جدّى أم جدّك؟ طبعًا لا لمعاتبة الأجداد، لأننا امتداد لهم، والدماء التى فى عروقنا هى دماء الأجداد، أعطونا الكثير لا يمكن أن نعطيهم حقهم فى كلمات، أحاطونا بالرعاية وتركوا لنا كل شىء، فلهم كل التقدير والاحترام، يرحمهم الله جميعًا، ولا أيضًا لفتح صفحات التاريخ، لأننا إذا حاولنا، فعلينا أن نعيد التاريخ إلى مئات السنين، ونعيد هذه الأيام حتى نصل إلى الحقيقة من قبل الاجتهادات، لأن الكثيرين قد ولدوا وماتوا، ولم يعترف أحد مما سبقونا بشىء، وكل فئة لا تغيّر موقفها لأسبابها، فمن محاولة بحث جديدة تطلب عمر أطول لحياتنا، وبالتأكيد سنعود فى النهاية بخلافات أكبر وانشقاقات أكثر وأكثر، لأننا نسينا ظلم وظلمات هذا التاريخ القديم من دهاء لم يتضح، واستمرت نتائجه حتى الآن مقارنة بهذا العصر الذى نعيشه من حضارة مضيئة على مختلف المجالات، من معرفة لما يدور هنا أوهناك .

فلا يجب كتابة تاريخ قديم على صفحات جديدة إلا لنكتسب الخبرة والتجارب التى تجنبنا الكراهية والعداء بيننا، فلا عتاب للأجداد.

ولكن يجب أن نحاسب نحن أنفسنا على ما سنتركه لأبنائنا من عدم استغلال هذه التغيّرات والمستجدات الحديثة، من تقدّم فى جميع

المجالات من اتصال وانحصار الكرة الأرضية تحت أنظارنا، لدعم التقارب بأفكار جديدة تدعم هذا الاتجاه، لنكتشف أنفسنا من جديد.

مقصد الأجداد:

ولنقف عند شيء مهم جدًا نعرفه من الأجداد، إذا كان من قريب أو من بعيد، ونعيشه أيضًا، لأنها، ولله الحمد، صفة بشرية، وهو مقصد الأجداد من الحروب والدفاع عن الأرض وكل شئ من هذا القبيل هو تحقيق الأمن والأمان لأبنائهم، فلنأخذ مقصدهم ونحقق لهم هذه الأمنية، وفى نفس الوقت أمنياتنا لأبنائنا، يجب على إنسان القرن ٢١ ألا يكون أداة تدور فى اتجاه الشر، وليكن لنا وقفة ليست بالقوة، بل بالعقل، ونكتب صفحة جديدة لإنسان متسامح، مُحب لكل الناس مهما كان دينه أو ثقافته، وبذلك نحقق مقصد الأجداد فى السلام لأبنائهم، أعنى أمنيات جدّك بيدى فى تحقيق ذلك، وأمينات جدّى بيدك أخي الإنسان أيضًا، بأن تعذرنى وأن أعذرك.. فلك العذر منى، وأنتظر العذر منك، لا تحاول إضعافى، فالأرض تحملنا جرحى أو أحياء، وكما ننتقل بأجسادنا إلى أماكن جديدة، يجب ألا نترك عقولنا فى أماكن قديمة.

إذا كنتَ شابًا اسأل جدّك ماذا تتمنى لحياتى القادمة؟ إذا كنت رجلاً كبيرًا اسأل نفسك ماذا تتمنى لأبناءك؟ جميعًا نعرف الرد، وكلنا نسعى لتحقيقه، ولكن نتشابك بالفروع التى نسجت على مر الأيام، نفس طبيعتنا للصفات المشتركة والأمنيات الواحدة.

إذا كان الآخر قد خلقه الله مثلى ويرزقه كما يرزقنى، وأرى ذلك حقيقة بعينى كما أرى نفسى، فكيف أتجاهل ذلك لتفسير أحد

لمبادأة الآخر، وهم يختلفون مع أنفسهم وأراهم بعينى على كثير من التعبيرات الأخرى، ولم يتفقوا، فلماذا اتفقوا على أننا مختلفين؟

فنحن نعيش فى خدعة كبيرة نسجتها الحياه للإنسان بخيوط ممتدة طولاً وعرضاً، وذلك لحاجة الإنسان لما فى الدنيا بطولها وعرضها لتأمين حياته فيها، فأصبحت هذه الخيوط شباكاً نتقاتل ونتزاحم داخلها، يشكو الجميع فيها، ولقِدَم هذا الوضع وتناقله مع الأجيال على مر آلاف السنين، أصبح وكأنه شىء مُسلّم به، عدا بعض المحاولات التى لم تصل بالإنسان إلى السلام الذى ينشده، ومن أسباب استمرار هذا الوضع، عدم تنوع الأسباب التى تكون أجدى للتقارب، أو الخروج من هذه الشباك وذلك يلزم أن نتبع هذه الخيوط، وذلك ليس بالصعب كما نتصور، فبدايتها يراها كل جيل وهو يشارك فيها ويدعمها، لأنه لم يتوقف ليعيد النظر إليها، بتسليمه لذلك، وكأنها إصبع أو عين لا يمكنه تغييرها، وبالعودة إلى الماضى البعيد.

باختصار شديد.. حب البقاء، وحفاظ الإنسان على وجوده، كان يتطلب أشياءً كثيرة فى الماضى البعيد، منها الطعام والشراب، ومسكن يتطلب موادًا تحميه من عوامل الطبيعة، وبما أن ذلك كان فى مجموعات أو قبائل متفرقة فى الأرض، فكانت هذه المتطلبات كلها ليست متوفرة فى بعض المناطق الجغرافية، فكانت الحروب والغارات التى سمعنا عنها، لأن الإنسان يحافظ على وجوده، والحروب كانت من أجل ذلك، أى أن الظروف دفعت الإنسان إلى ذلك، أما الآن،

القاعة الكبرى

كثيرًا عندما أفكر فى وسيلة تقرّب الإنسان للإنسان، كنت أعرض علي نفسى بعض المقترحات منها القريب ومنه الغريب فى سبيل تحقيق أىّ خطوة من أجل ذلك، ومنها تمنيت أن تجتمع الشعوب كلها فى قاعة واحدة، يواجهون بعضهم بما يشكو منه، بداية كان ذلك تفكير جنونى، ولكن الأمل فى تحقيق هدف يدفع الإنسان إلى الحلم، وممكن أن يجد المرء وسيلة، فكثير من الأشياء الصعبة كانت حلمًا.

ولكن ليس المطلوب أن يكون التفكير تقليدياً، وبذلك من الممكن أن نجد هذه القاعة، بأن نعتبر ونتصور أن هذه الدنيا بأكملها هى القاعة، والكرسى المخصص لكل فرد هو ما أنت عليه الآن، هو المحيط الذى نعيش فيه، بل أصبح كرسى أكبر من المتوقع التقليدى، وحتى فى المؤتمرات التقليدية مطلوب حضور العقل قبل الجسد، ومن هذا المقعد الحياتى، أن تعرض فكرة أو رؤية تهم الجميع، أن نبحثها ونفكر فيها بشكل أفضل فى الوقت المتاح والمناسب، بمناقشتها أو دعمها باستغلال الوسائل المتاحة فى هذا العصر، وبذلك نكون قد حققنا ما نرجوه فى هذه القاعة، اختار الرقم الذى تحبه، فأنت بالطبع من عداد البشرية، وليكن رقم واحد، المطلوب إذن وضع هذه الفكرة أمامك، وتفكر فيها، ربما رؤيتك تضيف مقترحات أفضل لتدعمها إذا إقتنعت بها مبدئيًا، على أساس أنها بذرة مطلوب سقايتها والعناية بها.

وسنلقى الضوء على بعض مشاهد من عالمنا فى طريق رؤيتنا للحل:

أخى الإنسان

الخلاف الذى بيننا عندما تابعته على مدى سنوات طويلة، رأيت أنه خلاف فكرياً وعقائدياً تحت مسميات كثيرة لها أسبابها المتراكمة على مدى التاريخ، نحتفظ بها بتناقلها مع الأجيال، فعندما أسمع عنك أو تسمع عنى تكون الصور السيئة هى التى تسبق المشهد، ولا نعطى لبعضنا الفرصة "الانطباع الراسخ"، وإذا فكر كل منا فى التوافق نجد صعوبة للأشياء الكثيرة التى غرست بداخلنا من أرشيف قديم، فما رأيك إذا توقفنا سويًا لنناقش أمر هذا الخلاف أنا وأنت وحدنا، فرادى، وما سينطبق عليك ينطبق علىّ، بفكرة أسميها "الحل الفردى".

طالما سنناقشها بالعقل، وذلك لا يحتاج موازنة، بل إذا صغرت الفجوة بيننا فكريًا ستزيد الموازنة فى الواقع المادى أيضًا.

منافع لا حصر لها، ولذلك، المنطق لا يجعلنا أن نتردد لحظة واحدة فى الحوار سويًا، إذا كان الحوار سيجنبنا أشياء كثيرة وخطيرة فى حياتنا، وبما أن الحوار الأكثر إيجابية عندما يكون الطرفان يجلسان مع بعضهما بشكل غير مباشر، فأجد فى ذلك ما يضحك، وهو أننى لم أختلف معك بشكل مباشر، بل خلاف موروث من مئات السنين تناقل مع الأجيال، وأنت أيضًا لا تعرفنى، ولكن هذه الحالة التى نعيشها نخسر فيها نحن الاثنين، من خلال أىّ كلمة أو تصريح أو رسم كاريكاتير، قادر على إشعال الفتنة المتاجرين والمتربصين، وبذلك أصبح التفاهم حتمىّ، إذا أردنا أن نعيش فى سلام.

نزرع ما لا يرضينا حصاده

نحن نزرع ما لا يرضينا حصاده.

يجلس شخص ما أمام التليفزيون كل يوم، تجلس أجيال متعاقبة أمام التليفزيون، وتلاحظ التطور الهائل الذى يحققه الإنسان كل يوم فى صناعة الطائرات والصواريخ، من حجرة نومه يتابع هذا الشخص كل ليلة ابتكارًا جديدًا من أسلحة القتل، وعملية عسكرية هنا أو هناك يفنى فيها عددًا لا بأس من البشر، وينتظر هذا الشخص أن يخترع الإنسان أو يبتكر شيئًا يُطوّر به علاقته الإنسانية مع أخيه الإنسان، نعم، المشاعر ليست أسلحة أو خططًا يمكن تطويرها، لكن، هذا الشخص يتوقع أن المشاعر الإنسانية تطور نفسها، ويمكن إيجاد حلول ما لتكون أجمل وأقوى، وأن يبتكر الإنسان أشياء تدعم كل ما هو إنسانى، كما أنها فى النهاية قابلة للتخطيط والتطوير، لا أن نعمل على تدميرها، والتخلص منها، فمع كل سلاح، وكل معركة، وكل مجموعة تفنى من البشر، تتراجع المشاعر الإنسانية وتخبو، ويستمر الحال كما هو عليه، فنواصل صناعة الحروب، وتدمير الإنسانية والمشاعر الإنسانية.

هذا ما نفعله، نشكو ونعانى القتل والعنف الذى يجرى حولنا، وأقصد بحولنا هنا أىّ مكان بالعالم، دون أن نتنبه إلى أننا لا نحصد إلا ما زرعناه، فهؤلاء من يسمون أنفسهم راشدين، عقلاء، فى أىّ مكان من العالم، وفى نفس الوقت يُعلّمون أولادهم العداوة، وكره الآخرين، والخوف منهم، ويغرسون فيهم أفكارًا سوداء ضد كل ما هو "غير"،

حتى يصيرون متحفزين تمامًا للقتل، ثم يغرس هؤلاء من صاروا متحفزين للقتل نفس الأفكار السوداء فيمن بعدهم، وهكذا، لا تنتهى الدائرة، تلك التى نتخبط داخلها، ونحصد منها ما زرعناه فيها.

أهذا ما نريده؟

القتل، الحرب، العداء، الكراهية؟

بالتأكيد ليس هذا ما نريده، لكن هذا ما نفعله، يمكنك أن تنظر حولك لتعرف ذلك، فارق كبير بين ما نريده وما نفعله.

طبيعتنا الإنسانية الصرفة ترغب فى المحبة والسلام، وإعلاء قيم الجمال والخير، نحن كبشر نأمل فى ذلك، نأمل، ونظل نأمل فى الجمال والخير، لكننا نظل نفعل ما يفجر بيننا الحرب، ويشعل العداء والكراهية.

هلاّ توقفنا، لنفعل ما نرغب فيه بالفعل، وما تطمح إليه طبيعتنا الإنسانية الصرفة.

هلاّ توقفنا عن الحرب والكره؟

العلاقات الإنسانية أبسط وأعمق وأجمل ما لدينا، فقط لنمنحها الفرصة، لنمنح إنسانيتنا الفرصة، هى تستحق ذلك، ونحن البشر أيضًا نستحق.

قضية فى ٥٠ سم

عنوان غريب جدًا، ولكن هو الذى فرض نفسه، وكما يقولون إذا عُرف السبب بطل العجب.

قادرين على فعل الكثير، وبأسلوب فردى لأن ذلك هو الحل، فلا أحد له فضل فى وجودى غير الله، والله طلب منا الحب والسلام، فإذا لم يحققهما القادة المعنيين بهذه القضية، فنحن الأفراد قادرين بإذن الله على ذلك.

البحث عن القوة

أخى الإنسان.. باختصار شديد جميعنا نبحث عن القوة كأفراد، وذلك فى التمسك والاندماج بالمجموعة أو الكتلة، أى في المجتمع الذى نعيش فيه "الدولة"، أى أننا نندمج فى الشئ الأكبر أو الأقوى فى ثقافتها أو معتقداها كما تعلمنا، والغاية والهدف بديهى من ذلك، بأن نكون أكثر أمنًا، لنعيش حياه أكثر أمنًا فى حماية المجتمع من كل البشر الغرباء، وهذا جميل جدًا، ولكن إذا لم يتحقق ذلك بالصورة أو بالواقع الذى نعيشه فى نزاعات واحتكاكات قبل الحروب، بانفجار هنا، وانفجار هناك، وفتن طائفية، وغيره من أشكال العنف والإرهاب، ولا أحد يعرف من هم الضحايا الذى لم يصبهم الدور من الأحياء بعد من هذا الطرف أو ذاك، وذلك إذا كانت دول كبيرة نعتبرها قوية، أو دول صغيرة، الكل فى توتر، والكل يطوله الأذى، أى أن الوضع القائم الذى نحن عليه لم يحمى الإنسان، أو الفرد لم يأمن كما كان يحلم، أو يتمنى من هذه القوة داخل هذا الوطن، ويرجع ذلك إلى السبب الأكبر وهو اختلاف الثقافات والحضارات، والتى كان من المفترض أن تقرّب الإنسان للإنسان بشكل أكبر، لا إلى فُرقته فى واقع الجميع لا يرضى عنه.

فماهو الحل إذن.. ليحتفظ الإنسان بثقافته وعقيدته ويعيش فى أمان وسلام؟

إذن مطلوب قوة أكبر، وذلك ليس بعيد عن المنطق أو الشرعية، فإذا بحثنا بفكر غير تقليدي متطور مثلما طورنا كل شئ حولنا بالعلم

والتكنولوجيا، علينا أن نوجه هذا الفكر أو بعضًا منه للجانب الاجتماعى والإنسانى أيضًا بشكل أكبر، سنجد بالفعل قوة أكبر بكثير، ولا تعادى أحدًا، وستحمى الجميع بحب وسعادة، ولن يمانع أحد فى أىّ حال ولحسن الحظ أن هذه القوة ليست بعيدة، بل أقرب ما يكون للإنسان وليس المطلوب غير استدعائها بالتنقيب عنها، فهى موجودة بكل تأكيد، مثل التليسكوب كلما حركته فى اتجاه وركزت عليه وضحت رؤيته فى هذا الجانب، فرأيت شيئًا جعلك تغيّر حسابك، والجميل جدًا جدًا فى هذه القوة أنها مُيسرة، والمفاجأة أنها فى داخل كل إنسان.

أخى الإنسان.. تمنيت الآن أن أكون كاتبًا محترفًا، أو فليسوف، لأنقل البعد الحقيقى والجميل لهذه القوة بصياغة تليق بها، وكتبت الكثير عنها، ولكن سأعرضها، وعليك صياغتها من جديد إذا تطلب الأمر ذلك، لأن القضية أصبحت بين أيدينا كأفراد من خلال هذه الرؤية، وبذلك نحن أصحابها ولن نرضى بخسارتها طالما الدفوع واضحة، وقد خوّلتها لنا الحياة.

فإذا قلنا إن مجموع عدد البشر على وجه الأرض مثلاً ألف مليون (مليار) إنسان، فهم مجموع كل الطوائف بثقافتهم ومعتقداتهم، إذا كانت الطائفة أكبر أو أصغر من الأخرى، أى أن مجموع الكتلة البشرية ألف مليون جمعاء، وقلنا إن الفئات التى تحمل ثقافات مختلفه مثلاً عشرة طوائف بين مسلم ومسيحى ويهودى وهندوسى وغيره، أى أصبح عندنا ألف مليون وعشرة طوائف يحملون نفس العدد، فإذا

كنت أخى الإنسان فى طائفة ما، فأنت داخل كتلة أو مجموعة من ضمن العشرة، والتى بكل واحدة مائة مليون إنسان ١٠×١٠٠=١٠٠٠ فهو العدد الإجمالى لعدد البشر، نتقاتل ونتنازع فيما بيننا، الكل يحافظ على هويته وكيانه، وكما قلنا ذلك لم يحمِنا من ذلك ويشهد الواقع على ذلك، فإذن نريد القوى الأكبر التى تحقق الأمن والأمان.

نعرف أن الاتحاد قوة، وهذة القوة يقف فى طريقها عائق وهى اختلاف الثقافات، فعلينا اتباع أسلوب آخر أو نظرة أخرى لنصل إلى ما نسعى إليه جميعًا، فإذا كانت كل ثقافة يخصها جزء من العدد الكلى للبشرية، وهى الكتلة الأكبر، ستكون التكتلات الثقافية هى الكتل الأصغر، فإذا انحزنا لأنفسنا كبشر، بذلك ننحاز للكتلة الأكبر، وهى الكتلة البشرية، وبذلك نكون اتحدنا إنسانيًا، أى كل منا أصبح إنسانًا عالميًا، وليس محليًا داخل كتلته الصغيرة مهما كبرت، وفى طيات هذه القوه سنجد كثيرًا مما نسعى إليه، وفى داخلها من الحماية ما نرضى عنه، وفى ذلك نحمى أنفسنا من أنفسنا والمتاجرين، فلن يتبقى غير ثقافتنا فى واقع جغرافى، وليس فى ذلك أى اعتراض أو تعارض بإحساسنا كأفراد بأننا الكتلة الأكبر داخل الكتلة البشرية.

بأن كل فرد يشعر بأنه إنسان عالمى، أحد أفراد هذا العالم أولاً قبل أن يكون فى دولة.

نحن فى الواقع ننتمى إلى المدينة أو القرية التى نعيش فيها داخل الدولة، فلنوسع نظرتنا ونخطو خطوة أكبر أو نظرة أكبر برؤية أننا داخل العالم، بأن ننمى هذه الثقافة فى داخلنا، وإذا أردنا التفكير فى

ذلك.. فلنفكر، نبحث ما هو إيجابى وما هو سلبى فى هذه النظرة وجدانيًا وفكريًا.

فإذا قبلت ذلك، فلن أقبل من يدعونى لكراهية العالم الذى أنتمى إليه من أىّ أحد، حتى إذا كان من داخل دولتى التى هى جزء من عالمى، سنساعد فى تقوية أىّ جانب فيه ضعف فى هذه الكتلة التى ننتمي إليها، لا محاولة إضعافها، حتى نكون فى أمان، وبذلك لن ننفصل عن دولتنا أو أرضنا أو ثقافتنا أو عقيدتنا التى نحن عليها.

أخى الإنسان.. لى رجاء عندك أن توعدنى بأن تفكر فى ذلك الأمر، ربما عندما تشجعك هذه الرؤية أن تضيف أو تصيغها بشكل أفضل منى، فنحن شركاء فى هذا العالم، للخروج مما لا يرضينا، فنحن سنحصد النتيجة، انظر لنفسك على أنك إنسان عالمى، ومهما كانت دولتك فستقوى أنت ودولتك.

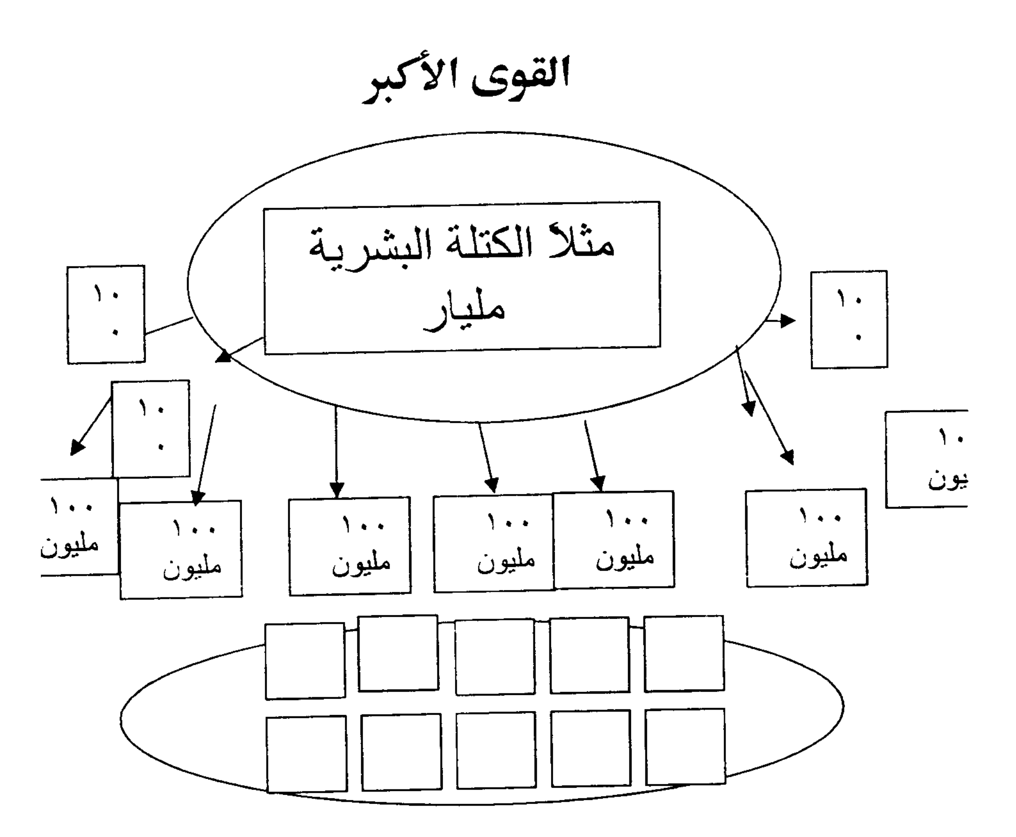
فلنبدأ سويًا.. فلنستعرض الرؤية أو الفكرة الجديدة أنا وأنت أخى الإنسان الذى يقرأ هذه السطور، فأنا أختزل فى شخصك كل البشر، لأن ما يصلح لك فهو صالح لى ولكل إنسان، لأن حاجاتنا واحدة، ورغبتنا واحدة فى الحب والسلام، فى"الحل الفردى".

بأن نتحرر نفسيًا وفكريًا من هذه الكتلة، ونحن بداخلها، ونرى جدواها وأوجه الاستفادة منها، بأن تنظر لى باهتمام من داخل الكتلة التى أنت بداخلها مباشرة، وأنا كذلك، نتخطى كل الحواجز والعوائق.. بعيدًا عن الحكومات وأصحاب القرار فيما يخصنا من هذا الجانب، ولن يضير أحدًا بل يساعدونا فى ذلك.

الصلح .. أن نتصالح ونتصافح نفسيًا، نمد يد الحب رغبة فى السلام الحقيقى إذا كانت الحدود قريبة أو بعيدة، مع إحترام كل منا لثقافة الآخر، كل منا يحب وطنه وثقافته، بأن تعذرنى وتقدر ظروف التى لم يكن لى يد بها، وأنت كذلك.

لله

القوى الأكبر



مجموع عدد الأفراد فى العشرة هو نفسه عدد الكتلة. فهل قوتنا أكبر داخل الكتلة

أم خارجها؟

البحث عن الموجود

البحث.. البحث.. البحث..

كل منا له هدف أو حلم، ويبحث عنه، وفى الطريق إلى ذلك نصادف الكثير من المصاعب، وهذا طبيعى جدًا، لكن المشكلة الأكبر هى أن نبحث عن شىء كلنا فى أمس الحاجة إليه، وهذا الشىء موجود فى متناولنا، وكأننا "نبحث عن الموجود"، مثل من يحمل على ظهره الرقم الذى يريده، بينما يبحث عنه فى كل الأماكن الأخرى، وهذه ليست فزورة أو شىء من هذا القبيل، وإنما حقيقة.

إذن، عماذا نبحث؟ وما هو ذلك الموجود الذى نبحث عنه؟

يجيب عن ذلك عدد كبير من أفراد تقابلت وتعاملت معهم، يمثلون ثقافات مختلفة، وكلهم كانوا يبحثون عن السلام والأمان، كلٌ على طريقته، وكلٌ منهم كان يصاب بتوتر شديد لو أنه سمع حتى انفجار إطار سيارة، أو رأى مشهدًا لتحطم طائرة فى مكان بعيد عنه، عندها يجد كلاً منهم نفسه ضعيفًا أمام ما يراه، وتزداد رغبته فى العيش بأمان وسلام.

فى رأيى أن الإنسان عندما ينظر إلى نفسه بتقدير واعتبار، ويعرف أنه ليس بهذا الضعف وأنه قادر على التغيير، أنه بنفسه يمكن أن يكون بداية لتحقيق السلام والأمان، فإنه سيحصل على ذلك السلام، لأن كلاً منا إذا اعتبر نفسه ضعيفًا، وافترض فى نفسه أنه ألعوبة فى أيدى الحكومات، فإننا بذلك نصنع شعوبًا ضعيفة ستكون بالفعل ألعوبة فى

أيدى الحكومات، تلك التى لن تتورع عن المتاجرة بشعوبها، فالضعف هو أرض خصبة للمتاجرة الرخيصة، كما أن تلك الحكومات الانتهازية تضع قوانينها بناء على أن الشعوب ضعيفة، مسلوبة الإرادة، ضعف الشعوب يغرى باستغلالها، وتحويلها إلى آلات يقتل بعضها بعضًا.

كل فرد، كل إنسان له وزنه واعتباره فى هذه الدنيا، وعليه أن يعتمد ذلك، السلام نفسه يأتى من قوة الفرد، وقدرته على الفعل، واتخاذ القرار بأن يمنح السلام لأخيه الإنسان، يجب أن نكون من القوة بحيث لا نستسلم للخلافات بيننا، وكأنها أمر واقع لا يمكن تغييره، نحن عندما نشعر بقوتنا، عندما يشعر الفرد بقوته، ويثق فى نفسه، وقدرته على أن يكون فاعلاً، ستظهر مجتمعات قادرة على تحقيق السلام.

أليس الشعب هو إنسان فرد بجوار أخيه.. بجوار أخيه.. أخيه.. أخيه.....

الطبق الضائع

من وقت لآخر نسمع عن أطباق طائرة ظهرت فى مكان ما، ويصاحب ذلك موجة من التحليلات المتباينة، ومعروف أن العلماء يتحسسون طوال الوقت أية إشارة تأتى من الفضاء الخارجى، ويتعاملون معها بمنتهى الجدية أملاً فى العثور على كائنات أخرى عاقلة والتواصل معها، ولأسباب أخرى كثيرة تتعلق بالمعرفة والعلم، وتوفير فرص نجاح وتقدم وحياة أفضل للبشرية.

وسط كل التحليلات التى تصاحب ظهور تلك الأطباق، أقول لنفسى، طيب، لو حدث يوم واستقبل علماء الفضاء إشارة حقيقية من كوكب آخر، وتأكدنا بها من أن مخلوقًا أو مخلوقات من هذا الكوكب فى الطريق إلينا، عندها بالطبع سيهتم كل فرد على مستوى الكرة الأرضية، وفى مقدمتهم بالطبع العلماء والمفكرين، وربما تهتم بذلك مخلوقات أرضية أخرى لا نعرفها، أو لم نكن نتوقع منها ذلك، فنحن لا نعرف ماذا ينوى لنا ذلك المخلوق، وعلى أية هيئة يمكن أن يكون، سنجد موجات كثيرة من التحليلات والتوقعات، سيشارك الجميع فى ذلك، ونرى آراء أغرب من الغرابة، وبعضها لا يتقبله عقل أو منطق، لكنها فى نفس الوقت لن تجد معارضة كبيرة، لأن الجميع يريد أن ينجو من هذا المجهول القادم بأية فكرة، طالما نتيجتها ستحقق الغاية والنجاة.

شجعنى تخيل الطبق الطائر، والمخلوق الذى يستعد لمهاجمة كوكبنا على التفكير فى شىء أكثر واقعية، أو إسقاط هذا التخيل نفسه على

صورة من صور الواقع نراها حولنا ونتأثر بها، وشجاعتى تلك تأتى من شجاعة العلماء فى البحث عن كائنات أخرى والتواصل معها.

أقول لماذا لا نتشارك جميعًا وبنفس الجدية والاهتمام، الذى كان سيحدث لو أننا نواجه مخلوقات مجهولة من كوكب آخر، ونوجه طاقتنا وأفكارنا فى حل مشاكلنا القائمة بيننا على الأرض، لماذا لا نتوصل إلى حلول قبل أن تأتينا المخلوقات المجهولة؟ لدينا الآن الكثير من الوقت لنتحد ونتشارك لنحل مشاكلنا الحاضرة، بينما لن يكون لدينا وقت لنتحد إذا هاجمتنا مخلوقات من كواكب أخرى، لماذا لا ننقذ أنفسنا وكوكبنا أولاً من خطر نصنعه بأيدينا لأنفسنا.

إذا كنا سنتحد بالتأكيد، ورغمًا عنا، فى مواجهة خطر بعيد محتمل، فلماذا لا نتحد الآن بإرادتنا فى مواجهة خطر قريب، حاضر، ومؤكد وهو واقعنا الذي نعيش فيه.

ظل الحقيقة

المعروف بأن على الكرة الأرضية أديان ومعتقدات كثيرة، وكل دين أو معتقد له فلسفته ووجهة نظره فى الحباة، تختلف فى بعض النقاط وتتفق فى بعضها، وهذا الاختلاف نتائجه نعيشها ونعرفها حقيقة ملموسة على أرض الواقع، ولكن هذا الواقع يعطينا صورة أو مشهد يستحق الوقوف عنده بحيادية، ويكون الحكم على الواقع.

بأن نفترض بأن هذه الأديان والمعتقدات عشرة، سنجد أن كل دين وثقافة تقول للإنسان الذى هو بداخلها عليك بفعل كذا وكذا، وإن لم تفعل ذلك فإن الدنيا وأمور الحياة لن تستوى معك، من الأول حتى العاشر تجد نفس الجملة باختصار.

وبما أن الإنسان فى داخل كل ثقافة من لحظة ولادته حتى أصبح عنده القدرة على الدفاع بما تعلمه على أساس أنه يحمل الحقيقة المؤكدة، مع أنه لا يعرف غير القليل عن الثقافات الأخرى، فأين إذن الحقيقة المؤكدة فى كل ذلك، فهى تظهر جليّة فى الإنسان نفسه بتعايشه مع كل الثقافات، لأن كل الثقافات والأديان تدعو إلى السلام، ولإحساس الإنسان الفطرى بقوة الخالق واللجوء إليه تحت أىّ دين، وذلك لعدم اعتراضه عليها، والجميع يعيش بدون أن يعرف ثقافة الآخر، ولم يصبه شئ، غير عندما تكون المتاجرة والاستغلال أو الاستسلام للكراهية التى تنشط حتى لرسمة كاريكاتير، فلا نكتفى بالفرجة فقط ونكون فاعلين، حتى تكون حياة أفضل بنشاطنا جميعًا كأفراد كل ثقافة.

شهادة شمس

يلجأ المرء بالاستدلال بأشياء مختلفة ليؤكد نظرية ما، وذلك ليس بالشيء السهل فى كثير من الأحيان، وأحيانًا أخرى يفاجئ المرء نفسه بشيء كبير يحيط بالشيء المستهدف، ويبرز بقوة ويوقف به كثير من الجدل لأنها حقيقة وخصوصًا إذا كانت هذه الحقيقة يراها الجميع وبدون استثناء.

والمستهدف الآن هو الأنسان، بما يجهله من ثقافات ومعتقدات مختلفة، جعلته فى كثير من المشاكل تحت مسمى تصادم الحضارات والثقافات من مئات السنين لواقع لا يرضاه الجميع.

والمطلوب إثبات أن الإنسان لن يعيش فى حياة أفضل بدون التعايش مع الثقافات المختلفة، بقناعة وجدانية وفكرية في هذه القضية، وليست بشعارات لم تحل القضية في حياتنا القصيرة التى لا تتحمل كل ذلك.

ولإثبات ذلك يجب علينا النظر فى تاريخ الإنسان مع هذه الثقافات.

سنجد أن كل لغات العالم التى يتحدث بها الآن مع اختلافها ليست اللغه التى كان يتحدث بها الإنسان فى بداية وجوده، وأيضاً معتقداته التى تغيرت مرات كثيرة.

حتى مع بداية تحضره وبداية معرفته بالكتابة.

وحتى هذه الكتابة بالنسبة إلينا الآن بعضها ما زالت طلاسم نحاول فهمها وفك رموزها، مع أنهم أجدادنا.

وأيضًا العبادات والمعتقدات الأن ليست هى من قبل ويؤكد ذلك بعض الآثار الموجودة حتى الآن وما بها من أشكال التقدم والفكر.

ولنسأل الشمس التى عاصرت كل هذه التغيرات يوم بيوم بل اندثرت ثقافات ولغات لم نعرف عنها شيئًا .

أى نلاحظ أن مع كل هذه الاختلافات التى قابلها الإنسان لم تتغيرحتى أظافره، أى نحن الحقيقة الأقوى في هذه الرحلة التى يبحث فيها الإنسان عن حياة أفضل، وذلك لن يتحقق بدون أن يكون إدراك حاجاتنا بعضنا البعض على هذه اليابسة ولاتفرقنا الثقافات أو اللغات.

ونثبت بذلك لأنفسنا من خلال التاريخ القديم أن الأنسان هو الأقوى.

فلا يعقل أن تتحكم ثقافاتنا والتى هى جزء مكتسب أن يسير الحقيقة الثابتة خلفها وجعلنا الله أفضل مخلوقاته خلق لنا الليل والنهار والشمس والقمر واسألوهم ستجدون إجابات كثيرة .

فلا يجب على الإنسان أن يتخبط مع نفسه والحقيقة ساطعة.

العروض المأساوية

قبل ذلك كنت أنبهر بالعروض العسكرية فى قوتها ونظامها فى شكل المعدات الحربيه المختلفة، وما تحمله من قوة، ولكن إعجاب من يتفرج على فيلم حربى، ولكن بعد ما حضرت حربًا، ورأيت ما بها من فتك بالإنسان الآن ومن قبل فى أفلام وثائقية فى الحروب العالمية، بدأت أنظر إلى هذه العروض، لا على الأسلحة بل على الأفراد من جنود وضباط، وألتصق بالكاميرا وهى فى حالة زوم على وجوه هؤلاء الضباط والجنود.. شباب ونضارة وجمال.. وهى فتره من أجمل ما فى الحياة، وأنظر فى عرض آخر لدولة أخرى، نفس الشباب، وأعتصر حزنًا، وأراهم مثل أضاحى تُقدّم للإله فى زمن قديم، بل للمتاجرين الذين لا يسعون للسلام أو المختلفين، ولم يصلوا لحل غير هذه الطريقه، بالزج بنا أن أكون قاتلاً أو مقتولاً.

ألا توجد عروض بربع هذا الاهتمام للسلام، تُعرض بها أفكار ووسائل تعرض على الشعوب، أى علينا كأفراد أن يفضلوها عن الحرب، لأنها أصبحت عروضًا مأساوية، كم من الوقت والتدريب والتفكير فى صنع هذه الأسلحة، غواصات، وحاملات طائرات، وصواريخ ووووو....، وكم من الوقت فى اجتماعات قصيرة لمحاولة التقارب.

متى نستعرض بالعقل؟

ونلوم أهل الغابة.

الأعماق تطفو

كنت أسير داخل منزلى لا أعرف ماذا أريد أو عن ماذا أبحث، ولكن ضوء التليفزيون المتقلّب جذب عينى، فنظرت إليه بجانب، فوجدت غواصة كبيرة جدًا، تشق المياه وتقترب من الشاطئ، ومنظر آخر، القادة وأسر البحارة فى انتظار هذه الغواصة على الميناء، فعرفت أن ذلك ليس فيلم حربى، بل فيلم وثائقى، فشد انتباهى، قائد الغواصة أعطى تمام للقائد، وفرح طاقم الغواصة بلقاء أسرهم، وفوجئت بمشهد لا يمكن وصفه أو ماذا أقول عنه، وهو لقاء الطاقم بأسرهم من زوجات وأطفال وأبناء وأمهات وآباء. مشهد طبيعى ليس به مخرج أو سيناريو، تداخلت أحاسيس ومشاعر متداخلة على هذه اللحظات، ولكن الشىء الذى أعرفه ومتأكد منه، أننى لم أعرف جنسية هذه الغواصة، أو لأى بلد تنتمى، ولكن رأيت شيئًا أعرفه بكيانى، رأيت الإنسان وهو كبير وهو صغير وهو قوى وهو ضعيف، رأيت الإنسان الجميل العطوف المحب، لا يمكننى الوصف أو التعبير عن جزء صغير من هذا المشهد، غير أن السعاده التى رأيتها هى كتاب يحكى التفاصيل، ولكن الحالة التى كنت بها، والتى جعلتنى لا أركز لمعرفة البلد أو الميناء التى بها هذا المشهد، جعلتنى أتصور أن أى بلد ممكن أن تكون، ولم أجد في ذلك مشكلة، لأنها لو فى أى دولة، أو أى ميناء، فلن يتغير شىء، لأن فى كل الحالات هو الإنسان، فوجدت عندى صورًا كثيرة مختلفة لغواصات وموانئ، ولكن الإنسان واحد بكل مشاعره وأحاسيسه، بصفاته الحقيقية، أى عندما تطفو النفس

البشرية من الأعماق، ليس بها ثقافة أو انحياز، وبما أن الهمّ يعرف طريقى، فقد وضع أمامى صورًا أخرى لا يمكن تجاهلها، عندما لا تعود الغواصة، ولا يعود البحارة.

كيف نطوّع الحديد والفولاذ، ولم نطوّع عقولنا، وعقولنا ليست هذا ولا ذاك.

لتطفو هذه الغواصة فى كل مرة.

الخدعة الكبيرة

أعتقد أننا نحن الشعوب ندور داخل خدعة كبيرة، خسرنا فيها كثيرًا، وسنخسر أكثر إذا قبلنا الاستمرار داخل تلك اللعبة كأدوات ليست لها إرادة.

هى خدعة كبيرة ومعقدة لأننا جميعًا مشاركين فيها، بقصد أو دون قصد، نحن الشعوب أدوات يتم بها تنفيذ الخدعة، ونحن أيضًا من يتم خداعهم، نحن من يتم استهلاكهم فى تلك الدائرة الجهنمية من الكراهية والعداء، نحن وقود الحرب وضحاياها، وقود المصالح الشخصية وضحاياها.

ماذا ننتظر عندما نصير أعداء للآخرين، ونجعل من الآخرين أعداء لنا؟

ماذا تنتظر الشعوب عندما يصير خيار الكراهية هو المتاح لها سواء بقصد منها، أو دون قصد؟ عندما تصير الشعوب فى كل أحوالها واختياراتها، مجرد ضحية، وأدوات يتم التلاعب بها داخل خدعة كبيرة.

يتحرر العالم، عندما تحرر الشعوب نفسها من دوائر الكره والخداع.

فقط، عليك أخى الإنسان أن تتخذ القرار وتتصالح معى بشكل فردى، تجعلنى صديقك الذى يبعد عنك مسافات طويلة، لكننا نشترك فى حقيقتنا الإنسانية، وبذلك فنحن أقرب لبعضنا بعضًا أكثر مما نتصور.

فقط بالصلح الفردى، يمكننا أن نتجاوز، يمكننا أن نهدم جبل العداوة الغبية، ونحرر أنفسنا من كوننا أداة يستعملها الآخرون لصالحهم.

تصالحنى وأصالحك، أتصالح مع ثقافتك، وتتصالح مع ثقافتى، لا أرفضك، ولا ترفضنى، عندما يتخذ كلٌ منا هذا القرار بينه وبين نفسه، سيشعر به كلٌ منا فى مكانه، سيتغير شىء فى هواء العالم، ثم يتغير العالم نفسه شيئًا فشيئًا لصالحنا، لصالح الإنسانية.

"التصالح الفردى"، غير المرتبط بحكومات، وأشخاص يديرون عددًا كبيرًا من البشر لصالحهم، لنكن أنا وأنت فقط، كل إنسان يصالح أخيه الإنسان فينجوان معًا، ننجو جميعًا، فالشعوب، وأذكرك بهذا: ليست إلا مجموع الأفراد، وإنسان بجوار أخيه الإنسان.

الغضب من الأبطال

الغضب من الأبطال هل تصدق ذلك؟

فى الحروب يقتل كل طرف الآخر، ويسعد القاتل بذلك، تسعد أسرته أنه بطل، وفى اللحظة نفسها على الجهة الأخرى تبكى أسرة على فقيدها الذى قُتل، وتصب غضبها على قاتله، وتتبدل الأدوار، فأصبح الغضب على الأبطال فى الجانبين.

أول سؤال؟

أول سؤال سألته زمان بعد فترة من استشهاد أخى فى حرب سببها تصادم الحضارات والثقافات، والذى أفتقده بشدة، كذلك الأسرة حتى الآن هو لماذا الحروب والكراهية؟ بالطبع فى الحرب مات الكثير من الطرفين، وأعتقد الآن أو متأكد، أنه يوجد شقيق مثلى افتقد شقيقه، وحزين عليه، وأسرته أيضًا، ولإحساسى بهم تمنيت أن يتقبلوا مواساتى.

وبعدها توالت الأسئلة وعلامات الاستفهام.

المشنقة؟

هى علامة الاستفهام التى تتأرجح أمامى مع كل حدث مثل مشنقة نضعها لأنفسنا، نُضفّر خيوطها بعداواتنا، ونُحكم عقدها بأحداث نصنعها ونراكمها فوق بعضها البعض، فتظل تلك المشنقة قائمة وجاهزة لنا جميعًا.

قضايا تبدو أزلية، مثل اختلاف الحضارات، والثقافات، وكأننا جميعًا قد سلّمنا أنها قضايا بلا حلول، كأنها وُجدت فقط لتكون سببًا فى عدائنا لبعضنا بعضًا، حتى يبدو الأمر وكأننا اخترعناها ونتجادل فيها، ليس لنصل إلى حلول، وإنما لنحصل على المزيد من الاختلاف والعداء.

المشنقة؟ تلك التى تتأرجح منذ آلاف السنين وتزداد متانة، ويزداد عدد ضحاياها، هل ستظل هكذا، قوية، متسلطة، رغم عبور العقل البشرى كل هذه المسافة الزمنية والعلمية والحضارية؟ هذا الإنسان الذى يتقدم علميًا، ويصل للكواكب البعيدة، ويحاول التواصل مع ما يعتقد بوجوده من كائنات فضائية قد تكون مختلفة عنه، يفعل ذلك فى الوقت الذى لم يستطع أن يتواصل مع أخيه الإنسان، الذى يشبهه، القريب منه، ويتشاركان معًا نفس المصير.

نحن لسنا بهذا الاختلاف، لسنا بهذا الشر الذى يجعلنا نصنع لأنفسنا تلك المشنقة الأزلية، وندعمها طوال الوقت بعداواتنا تجاه بعضنا بعضًا، ثم نضحى لها بأنفسنا وإنسانيتنا.

نحن البشر، نمتلك من الإنسانية والذكاء والتسامح، ما يكفى للإجابة عن علامة الاستفهام، والتخلص من المشنقة.

السلام والأمان

السلام والأمان غاليان جدًا جدًا كما نعرف جميعًا، ونكون مخطئين عندما نتصور أن قوة السلاح، وكل أشكال القوة المعروفة لدينا قادرة على تحقيق ذلك، بالدرجة التى نتمناها، بدليل توجد قوى كثيرة الآن، وفى نفس الوقت الكل يدعو إلى السلام، وعندنا مثال على ذلك والقوه الأكبر فى العالم، وأحداث ١١سبتمبر وغيرها من قبل ومن بعد فى أنحاء متفرقة من العالم.

لتجاهلنا عدم التركيز على الشيء الأساسى، وعدم تقديره حق التقدير، وهو الإنسان بشخصه، وبتوضيح الرؤية حتى يكون الإنسان عنده قناعة على مستوى العالم، بأن السلام والأمان ليس بعيدًا، هو بيد الآخر الذى أختلف معه، الأمان والسلام بيده، وأيضًا سلام الآخر بيدى في نفس الوقت، فعلى كل منا أن هذه الحقيقة التى لا نعطيها الاهتمام بشكل شخصى وفردى، أى نحن الأفراد على وجه الأرض، إذا كنت من هذه الطرف أو ذاك، فلا يعوّض الدم المفقود من الإنسان إلا بالتبرع من أخيه الإنسان.

كيف ندّعى التحضر ولسنا قادرين على التفاهم؟! إذا رغبنا فى السلام يجب أن تكون رغبة صادقة فى أنفسنا وضمائرنا بعدم التعالى على الضعيف، وحفظ كرامته، بأن نحترم إنسانيتنا عند التعامل، وهذه أشياء قادرين عليها جميعًا، لأن ذلك طوق النجاة على بساطته، فكم من تجارب وطرق لم تنجح لأنها كانت بعيدة، فقناعتنا الشخصية أخى الإنسان هى أول طريق لتصحيح ما مضى وما هو آت.

هل يصيبنا الملل من التفكير فى إعاده جمل فى سياق مختلف، تؤلمنا، ولا نملّ من رؤية القتلى والجوعى من جرّائها.

سلام تحت الطلب

ماذا ينقصنا لنعيش في سلام؟ سؤال يجب أن يسأله كل فرد انفسه فى هذا العالم.

ماذا أنا بفاعل من أجل تحقيق السلام؟ هل أنا من دعاة الحرب أم من دعاة السلام؟

فليس من إنسان سوىّ يطلب الحرب، يطلب الموت والخراب لأبنائه وأحفاده.

ومن سيمنعنا من طلب السلام وهو تحت الطلب أوله التسامح، أو الحجر عليه ولا يمكن لأىّ قوة أن تفعل ذلك.

كما قال قائل: إذا أراد شعب استجاب له القدر، ونحن الأفراد، نحن الشعوب، بأن يفتح كل فرد مع نفسه صفحة جديدة مع العالم لأنه إنسان القرن الواحد والعشرين، ليكتب التاريخ صفحات جديدة، مضيفًا بجانب التطور العلمى، التطور الإنسانى في تقاربه، لا تقبل من يدعو لكراهية الآخر، مهما كانت ثقافته، ونساند من يدعو للسلام وندعمه، نساند من يدعو لمساندة الضعيف دون تكبر وتعالى على النفس، والذى لا تقبله الطبيعة البشرية، لأن الضعيف هو الأحوج للسلام لكي يحافظ على كرامته وكبريائه، فيجب مساندته ليتخطى ذلك من الناحية الاجتماعية وما بها، باستغلال البعض له فى دفعه إلى طرق يضرّ بها نفسه والعالم، وذلك سيكون أقل تكلفة، وطريق قصير بدلاً من محاربته، ولا ننسى أن عنده قوة نعترف بها، وهى واضحة.. ببناء ترسانات من الأسلحة، وذلك دليل على الخشية منه.

الكاميرا الخفية

أحب الكاميرا الخفية جدًا لسببين: السبب الأول وهى التى جعلت من أجله الإضحاك وخلق الابتسامة، من المفارقات الطبيعية التى تبعث السعادة لدى المشاهد على مستوى العالم من داخل كل المجتمعات، ومن كل الثقافات.

السبب الثانى لا أخفيه بما عندى من تصور قديم عن الآخر، بأنه مثلاً لا يخاف من موقف مفاجئ مثلى، أو رد فعله سيكون مختلفًا عنى بشكل واضح، وخصوصًا فى المواقف الإنسانية، فأجد نفسى قريب منه جدًا، أو هو قريب منى، أراه هذه الشخصية بتخيلى أن نكون جالسين فى مكان ما، وتناقشنا فى موضوع ما، فلن يكون التفاهم بعيدًا أبدًا، وأعود لنفسى قائلاً، هذا يتم بالفعل، بل نتعامل ونتفاهم فى أشياء لا حصر لها، على مستوى النخبة، فعرفت أن جزءًا من المشكلة فى الخلافات كنت أنا السبب فيها، لأنى كنت أتصور غير ذلك، وربما هو كذلك، يتصورنى بشكل آخر.

فلنعيد نظرتنا مرة أخرى جميعًا نحن الأفراد العاديين فى هذه النظرة الخاطئة لتكون حياتنا أكثر سعادة.

البحث عن الأعداء

جاءنا إنسان طيب من كوكب مجاور للأرض يعرف ما يجرى بيننا من حروب وغيره، وأراد أن يصلح بيننا، فنزل فى دولة بينها وبين دول أخرى قضايا وحروب، سمع من أهل البلد ومسئوليها بأن الأعداء من حولنا متربصين لنا، ونحن نعدّ لهم العدة، لأسباب كذا وكذا، فسألهم أى أنتم لستم معتدين، قالوا له لسنا معتدين ونتمنى أن نعيش فى سلام، ولكن الطرف الآخر هو المعتدى، ولا يقبل السلام، فذهب الضيف إلى الطرف الآخر، وسألهم ماذا بكم لتعتدوا على جيرانكم، قالوا لا، بل الأعداء هم من جئت من عندهم.. لا يقبلون التفاوض ونحن نريد أن نعيش فى سلام، وانتقل الرجل الضيف إلى منطقة أخرى من العالم بها أطراف متنازعة، فكان هذا الكلام، لا يقبل أحد على نفسه، أو يعلن أنه معتدى.

فأمسك هذا الضيف ميكروفون كبير بحيث يسمعه العالم كله عندما يتحدث، وقال أين الأعداء لنتحدث معهم ونحل المشكلة، فلم يرد أحد، وأخذ يكرر النداء بصيغ مختلفة فلم يرد أحد، وفى نفس الوقت الجميع يسمعه.

إذن أين الأعداء؟ لا أعداء، بل خلافات ممكن حلها، لأن الإنسان ليس عدو جنسه وإلا كان أباد نفسه، والعدو الحقيقى هو من يقتل لمجرد القتل، ويعتدى لمجرد الاعتداء، بل نحن نحارب لأسباب ودوافع .

وإذا بحثنا عن هذه الأسباب والدوافع سنجدها ليست أقوى من فاعلها وهو الإنسان فى خلافات طبيعية قادرين على حلها.

فعاد الرجل إلى المسئولين مرة أخرى، طالما تقبلون السلام فهيا نبدأ، فقالوا له انتظر بعض الشيء حتى نضعها فى قوانين عن طريق المجالس المتخصصة، فعاد للأفراد من كل جانب، فلم يعترض أحد، فقال ابدءوا أنتم فى هذا الأمر، فأنتم الضحايا، فكل فرد هذا عالمه ليتصالح معه وستعرفون النتيجة، نحن نفعل ذلك على كوكبنا ونعيش فى حياة أجمل .

الحلف الجميل

نعرف جميعًا تحالفات عسكرية مثل حلف الناتو أو حلف وارسو وغيره، والمهمة المنوط بها كل حلف كفانا الله شرها، لأن عند تفعليها تترك خلفها الموت والخراب، أى أن الإنسان يدمر نفسه بنظم مختلفة ومدروسة، وفى محاولة التفكير فى تغيير هذا الواقع، لحماية الإنسان من نفسه، يتطلب حلفًا آخر يكون قويًا أيضًا، وبالطبع لن يكون عسكريًا، وهذا الحلف موجود بالفعل مع الفكر الجديد، وتتقبله كل التحالفات ولا تعارضه، لأنه ابن كل هذه التحالفات، أبناء كل إنسان فى ذلك الحلف وخارجه، هم أطفالنا، عند زراعة الحب لديهم تجاه الآخر سيكون ذلك جميل جدًا، ولا نستحى من أن نقول لهم توجد مشكلة ونحن بصدد حلها، ولا مانع أن تفكروا معنا فى حل، ونحن نعرف بالطبع أنهم لن يقدموا شيئًا فى الوقت الحالى، ولكن ستكون بذور جديدة للسلام لها شأن كبير، فكما نحاول ترك مستقبل جميل لهم من ممتلكات وما شابه، فكيف لا نترك لهم السلام، فلنساعدهم فى فهم ذلك، وهم سيساعدوننا فى تحقيق أمنياتنا لهم لحياة جميلة قادمة، كلمات بسيطة قيلت لنا ونحن صغار كانت سبباً فى تحولنا فى كثير من الأمور.

إصابة سفر

أبتسم عند أتذكر هذه الإصابة، وكما يقولون شر البلية ما يضحك.

فالإصابة مؤلمة، صغرت أو كبرت ولا نتمنى لأحد الإصابة.

وما أبتسم عليه وأفرح من قلبي ليس على موقف كوميدى قد رأيته عند وقوع الإصابة، بل عندما يفقد المصاب كثير من دمه وهو فى أى مكان فى الدنيا، إذا كانت الإصابة فى أى بلد على مستوى العالم، ويأتون له بالدم الذى يحتاجه من أهل هذه البلد مهما كانت ثقافتهم أو معتقداتهم، لا يتوقف هذا الدم لذلك، ويجرى فى عروق هذا المصاب لإسعافه.

الأجيال

لا أعرف بالتحديد بداية أو تاريخ اختلاف الثقافات وتصادمها، ولكن ما أعرفه مثل الجميع أنها من مئات بل آلاف السنين، تتناقلها أجيال وأجيال، كل جيل يسلّم الجيل الذى يليه، وليست مخلوقات من كوكب آخر قامت بذلك بل نحن البشر، وليس على يد قائد أو قادة، بل من يقدر على ذلك هم الأفراد بتعليم أبناءهم ما تعلموه، أى أن الخلاف ينقله الجيل بأكمله على مستوى العالم كأفراد، لأن كل فرد يتفرّج على ما يجرى، وكأن ذلك شيء ليس له يد فيه، وهو الناقل الأساسى، ويتألم مما يصيبه فى هذه القضية، ويتمنى ألا يستمر ذلك، وكأننا متفرجين ولسنا من المشاركين فى هذا، ولم يدرك الفرد القوة التى بيديه فى زرع المحبة فى الأطفال والمحيطين به للآخر، لإيقاف نظرة الكراهية له، وكما تناقلت على يد الأفراد، لن يوقف ذلك غير الأفراد، أنت وأنا.

الفتنة

الفتنه الطائفيه غنية عن التعريف لما تسببه من نتائج نعرفها جميعًا، ولكن ننظر من جديد على واقعة فتنة واحدة، لنتحدث عنها أو ننظر أو نشاهدها وكأننا نراها فى قاعة سينما، ولكن ما نراه واقع سيناريو واحد مكرر به الاختلاف فى الأوجه قديمًا وحديثًا، أبطالها رجال الدين المتشددين فى كل جانب، والأفراد المتشددين فى الجانبين وأصحاب المصالح لقيام الفتنة، والسبب فى قولى هذا سؤال واحد فرض نفسه، لأنى طول حياتى لم أسمع أو أرى فتنة فى وزارة الصناعة أو وزارة التجارة أو الزراعه أو أى وزارة، إذا كان فى داخل الدولة أو بين الدول وبعضها، يعنى أنا كنت متشوق أن أرى مثلاً وزير صناعة يتشاجر مع وزير صناعة آخر، لأرى ماذا يقولون لبعضهم بعضًا، أو أىّ وزير أو أىّ مسئول يدير أمور الناس.

بل رجال الدين الجهة المسئولة عن تهذيب الناس، وتقويمهم للخلق الحسن، ورجال الدين هم الجهه الوحيدة التى يفترض أن تكون علاقتها بالآخرين أقوى من أىّ جهة أخرى، لأنهم يمثلون القيم والأخلاق والتسامح، وليس عندهم تتعقد المشاكل ولا تحل، وحل مشكلة ممكن أن تنجم من خلال تعامل الأفراد فى هذه الوزارات مع بعضها البعض، أو خلافات تنشأ بين شعب متعدد الثقافات داخل المجتمع وخارجه عن طريق تقويم الأخلاق.

ولأن رجال الدين المتشددين أغلبهم لا يرضى بأنه رجل دين فقط بل رقّى نفسه ليكون عالمًا، فلابد أن يكون له تفسيراته، ولم يترك ذلك لأهل الاختصاص، تكون النتيجة "الفتنة".

نسيت أن أقول أن السؤال كان من شقين وهذا الشق الأول.

الشق الثانى:

نعرف أيضًا أن أىّ وزارة لها ناتج، بمعنى أن وزارة الصناعة مسئولة عن صناعة ما يحتاجه المجتمع، ووزارة الزراعة تطالب بما يحتاجه المجتمع، وهكذا كل وزارة أو هيئة، والكل يحاسب على ما أنجزه فى مجاله، فيجب أن يسألوا أهل الدين عما أنجزوه أيضًا، أليس ذلك عدلاً؟ عند كل فتنة، لأنهم مسئولون عن إخماد الفتنة وإنهائها من جذورها، وعليهم أن يراجعوا أنفسهم، ونتائج ما يفعلون على أرض الواقع، لأن من المفترض أن رجال الدين يحلون الخلافات التى تقوم بين أفراد أو فئات المجتمع، ولا تكون الخلافات بينهم فتؤدى إلى تقسيم المجتمع.

المدرج الكبير

اتصل بى صديق لنؤخر موعدنا ساعة، ليتمكن من مشاهدة مباراة فى التصفيات بين بروسيا دورتموند وريال مدريد فى الدورى الأوروبى، وبالفعل سمعت عن هذه المباراة من يومين فى أروقة الأصدقاء.

أنا أحب الكرة الجميلة، ولكنى لست متعصبًا، فقلت لنفسى فرصة أن أشاهد هذه المباراة مع بعض الأصدقاء والجيران فى القهوة، لأن شاشتها كبيرة، ووصلت القهوة متأخرًا عدة دقائق، ولم أجد كرسيًا إلا فى الصف الأخير خلف المشاهدين، ومرت لحظات، وفجأه قفز عدد كبير وأيديهم فوق رؤسهم عند إصطدام الكرة بالعارضة، وفى لحظات أخرى يكون نفس المشهد عند فرصة ضائعة للفريق الآخر، ولكن أسعدنى مشهد ثالث جدًا عند تصوير كاميرا المباراة للمشجعين فى المدرجات من الجانبين، بتوضيح الطبيعة الإنسانية، لأننى كنت أنظر إلى المشاهدين الذى أجلس معهم فى حى من أحياء المدينة فى الشرق الأوسط، وهم فى نفس الحماس والآهات، وبالفعل هم فى مدرج واحد، وأنفاس واحدة، وبديهى هذا المشهد فى القرى والدول والمحافظات على مستوى العالم.

فذلك يقين على المراهنة بأن القضايا الخلافية بين البشر قريبة فى حلها، إذا كان عن طريق الطبيعة البشرية وهى التى تربح.

كأس الزمن

الرياضة يحبها الإنسان بما فيها من تنافس شريف، ومشاركة وجدانية من كل الفئات والأعمار على مستوى العالم، من كل الثقافات.

الفائز يحصل على الكأس إذا كان فردًا أو فريقًا، ومن أكبرها كأس العالم، ولكن للأسف كئوس العالم كله لا تشبعنى، بل تجعلنى صابرًا لحين أن نكون مشاركين فيه جميعاً برفع كأس العالم الحقيقى أنا وكل أفراد العالم، وهو كأس السلام العالمى، وذلك ليس بعيدًا إذا بذل القليل من أجل ذلك، ليس أكثر مما نبذله فى هذه الألعاب من تدريب وتنظيم، وما يدور حول هذه الرياضات، بل ليس مجهودًا فى أىّ شكل، بل ماراثون العقل قادر على فعل الكثير، فلنطلق العنان لعقولنا وتصورنا فقط، بأن يشارك الجميع فى هذه الماراثون، وسيكون دعمنا مرة أخرى أكبر للرياضة بعيدًا عن انفجار هنا أو هناك.

لنرفع كأس العالم بالفعل، والجديد أن نرفعه جميعًا بروحنا، ونحتفل سويًا فى يوم نحدده، ويكون كأس الزمن نرفعه فى القرن الواحد والعشرين، سيذكره التاريخ بأن هذه الفترة كان الجميع أبطالها.

ملعقة وسيارة

ملعقة وسيارة، عندما نذكرهما متجاورين سنجد علامة استفهام تسألنا: وما العلاقة بينهما؟

هناك أشياء كثيرة فى حياتنا إذا ذكرت إلى جانب بعضها بعضًا، سيكون الأمر أكثر غرابة، كأن تقول مثلاً: طائرة وقطن.

لكن إذا نظرنا من الناحية العملية، فلن نجد غرابة فى أن نجمع بين أىّ شيئين موجودين فى العالم، قد يبدو للوهلة الأولى أنهما غريبين وبعيدين عن بعضهما بعضًا، فعندما يتسوّق أىّ إنسان فى بلده، سيجد كل ما يريده من صناعات، وحاجيات يستعملها حتى فى حياته اليومية، والجميع فى كل البلاد والأسواق، يتعامل مع هذه البضائع التى صنعها إنسان آخر، ووصلت من ثقافات أخرى وبلاد بعيدة، وربما تكون مختلفة فى العقائد أيضًا.

وهذه نقطة تستحق أن نتوقف عندها قليلاً.

سأضرب مثالاً بسيطًا: عندما تقوم شركة ما بتطوير سيارة من صنعها، وتضيف إليها ميزات تجعلها أكثر راحة للإنسان، فإنها تلقى استحسانًا فى أىّ مكان بالعالم، أى أن متطلبات الإنسان وحاجاته هى نفسها فى أىّ مكان، كذلك حتى من يصنع أدوات للمائدة، فإنه سيجعلها مريحة لأىّ إنسان فى أىّ مكان، وهذا شيء جميل، لأننا بهذا الواقع صرنا نعرف أننا نتفق على أشياء كثيرة جدًا فى عالمنا، حتى فى

حياتنا اليومية، وآخرها حتى الأن الموبايل صنعه إنسان وإستفاد منه كل العالم بكل طبقاته، مع أننا قد نختلف فى العقائد والثقافات.

لكن، وفى نفس هذا الواقع الذى نعيشه، ورغم ما نعرفه عن بعضنا البعض من اتفاق ومشتركات بيننا، فإننا ندخل حروبًا، ونعانى صراعات وخلافات، تبدو ضد المنطق، وغريبة فى ظل وجود كل هذه المشتركات بيننا.

نحن كبشر على اختلاف ثقافتنا وعقائدنا، نتعاون فى أشياء لا حصر لها على أرض الواقع، وبيننا مشتركات كثيرة يمكن أن نتعامل فيها، ونتقارب، دون أن نعلن الحروب على بعضنا بعضًا، ودون أن ندخل فى هذا الصدام الذى يفتت العالم يومًا بعد يوم.

ثلاثة مشاهد

(١)

شاهدت فيلم، تحكى قصته باختصار عن أربعة أصدقاء خرجوا فى رحلة بعيدة، وهناك تورطوا فى مأزق كبير، يستلزم أن يضحى أحدهم بنفسه حتى ينجو البقية، فقرر كل منهم بداخله أن يضحى بنفسه، عندها تغيرت تفاصيل ومفردات الواقع حولهم، وتحوّل فى صالحهم، ونجوا جميعًا.

الأمر بهذه البساطة، وأقل منها.

(٢)

كنت فى زيارة لمريض يُعالج داخل مستشفى حكومى، وطلبت أن أسجل اسمى فى قائمة المتبرعين بأعضائهم، عندها أخبرنى أطباء وموظفى المستشفى بأن "الموضوع ده مش عندنا"، وقال بعضهم بتلقائية بأنها "تضحية كبيرة" المهم، أنا الآن لا أناقش مسألة "التضحية" ولا كون "الموضوع ده مش عندنا"، لأن نفس الموضوع موجود عند ناس آخرين كثيرين جدًا.

المهم: إذا كان من الممكن لأىّ إنسان فى الدنيا، أن يتبرع بدمه أو بعض أعضائه لأىّ إنسان آخر، ألا يعنى هذا شيئًا؟

فكر قليلاً، لا بد أن هذا يعنى شيئًا كبيرًا.

(٣)

طبيعى جدًا أن أىّ وعاء لا يختار ما يوضع فيه من طعام أو سوائل أو غيره، سواء كان صالحًا أم فاسدًا، فذلك يحدده الإنسان الذى يختار الوعاء وما يوضع فيه معًا.

الغريب جدًا، أن توضع أفكار ومفاهيم داخل رأس الإنسان، ولا يعيد هو التفكير فيها، ولا يستطيع التمييز إن كانت صالحة أم فاسدة، فيصير هذا الرأس البشرى المتوقع منه أن يفكر، ويحلل، ويفهم، ويميز، يصير مثل وعاء مصمت عاجز، غير قادر على التمييز، فاقدًا للإرادة والاختيار.

أخى الإنسان، أنت قادر على التفكير، التمييز، والاختيار، فلا تضيع الفرصة، لا تهدر هذا الامتياز.

الاستثمار الناقص

الكل يسعى إلى الاستثمار بشكل أو بآخر، بقصد بناء غطاء يؤمن به حياته وعائلته من بعده، بأموال ومشروعات، وهذا السعى يأخذ كثيرًا من الجهد والوقت فى حياتنا، وبما أن العالم أصبح قرية بالنسبة للاتصالات والتفاهم، أيضًا أصبح قرية بالنسبة للأسلحة العابرة القارات، وهذه الأسلحة تهدد الاستثمار، وتهدد الحلم الجميل، لأننا لم نستغل المستحدثات فى هذا العالم للتفاهم والتقارب الإنسانى، لم نبذل جهدًا فيه وتجاهلنا جعله استثمار ناقص، لأننا لم نستثمر السلام ونجعله رصيدًا يحمى هذا الاستثمار، بأن يكون لنا مسعى أو أىّ فعل مسبق لدفع عجلة السلام مع الآخر فى هذا العالم الذى نعيش فيه سويًا، وهذا ليس صعبًا لأن الطرف الآخر يتمنى السلام لأنه إنسان، فإذا لم تنجح وسيلة أو طريقة نبحث عن وسيلة أخرى وسنصل إلى ما نرجوه، أى الاستثمار بنظرة عالمية ليست محدودة على الأبناء والأسرة والدولة، حتى تكون ثمار الاستثمار مأمونة وكاملة.

شجر النخيل

أول ما لفت نظرى وأنا صغير، وأيضًا معه عقلى هى شجرة النخيل، ولكن لم أعرف ذلك فى حينها، ولكن بعد أن كبرت شعرت بماضى قديم بينى وبين هذه الشجرة وكنت ما زلت صبيًا، وذلك يرجع أنى كنت أسافر مع والدى إلى القرية بالباص أو القطار من المدينة إلى القرية مسقط رأس والدى، وكان على كل جانب الطريق شجر النخيل، وأرى الثمار فى الأشجار "البلح"، وكلما تطول المسافة أتعجب عندما ينقطع هذا التواصل، ونأخذ طريقًا آخر وأجد النخيل مرة أخرى، وأجد البلح بنفس الحجم، كيف تم الاتفاق بينهم، وتابعت مراحل نموه حتى وصل إلى فمى، وكلما تذكرت ذلك أشعر بموسيقى مصاحبة لمراحل تغير اللون الأخضر إلى الأحمر تدريجيًا، وكأنها موسيقى ملونه، فى الذهاب والعودة، وذلك بالنسبة إلى النفس، أما عقلى الصغير وقتها كان يحاول أن يعرف ما هو الرابط بين هذه الأشجار وبعضها البعض مع طول المسافة التى يهيأ لى أن هذه القرية آخر الدنيا.

وكبرت وعرفت ما يعرفه الناس من مخلوقات على وجه الأرض بقدر ما توصلت إليه من متاح، والاختلاف بين هذه المخلوقات فى الحياة، ومنها الإنسان وشجرة النخيل.

النخيل له فترة معروفة من بداية ظهور ثمرة البلح حتى اكتمال نضجها أو طرحها، كل النخيل، وأن البلحة بها النواة عند زرعها تكون النخلة، أما إذا قلنا ثمرة الإنسان، هى الإنسان المولود يكون

أقرب إلى التشبيه، أما الاختلاف يأتى فى أن الشجرة لها موعدًا محددًا لثمارها، أما الإنسان فلا موعد له، ومن حبى للنخلة أنها تعطى دائمًا ما عندها، ولا تمنع أحدًا أن يستظل بها، أما الذى قد يمنعك من ذلك فهو الإنسان، يقول لك لا تجلس هنا خوفًا أن يطول الجلوس، وهى التى فى حوزته ومليئة بالبلح، وقد يؤدى ذلك إلى أن يتشابكوا، فيربط أحدهما الآخر، فى تصورى، ويلف ذراع الآخر للخلف حول الشجرة ليعذبه بعض الوقت، ويعود بأعوانه، ولكن بعد فترة قصيرة يشتد الهواء وتتمايل الشجرة ويسقط البلح بجانب المربوط ولا يملك أن يصل ببلحه إلى فمه،فجعل وجهه إلى أعلى وفتح فمه عسى أن تسقط بلحة بداخله، ولكن الظروف السيئة تسقط على عينيه، فتصيبها إصابة بالغة، فيثنى ركبتيه ليمسح بها عينيه، فسقطت بينهما بلحه فأكلها، ولا أعرف ماذا تم بعد ذلك، إلا النخل وهو يتفرج علينا مع باقى المخلوقات لا نعرف ماذا يقولون علينا لقتالنا على شئ يكفينا جميعًا!!

خيوط الحرير

أخى الإنسان.. القابع بعيدًا جدًا، إذا كان جسدًا أو روحًا، أريد أن أفعل المستحيل كى أكون قريبًا منك جدًا، أبحث عنك، أبحث عن الأمان، أبحث عن السعادة، هذا يتحقق إذا كنت رفيقًا لى، وأعرف أنك تريد ذلك، ويحترم كلٌ منا إنسانية الآخر، الموضوع بسيط جدًا.. هل تتصور أننا غير قادرين على ذلك؟ بالطبع لا، وببساطة شديدة أرد نيابة عنك فى أوراقى ترديدًا لما تقوله أنت وتفعله، لأنك أصبحت أمام عينى، رأيت تحركاتك وتصرفاتك من خلال مستحدثات العصر، وطويت صفحة الزمن التى كنت أعرفك من خلالها، وهى من آخرين، هى كانت جميلة ولكن كنت قريب الشبه بأناس من كوكب آخر، مع أنى لا أعرف أحدًا من كوكب آخر غير فى السينما، رأيت نفسى فيك الآن.

فقلت ماهى المشكلة؟

مبدئيًا ونحن فى المؤتمر الإنسانى أن نمد خيوطًا من حرير تصل إليك، وتصل إلى، ونتصل جميعًا بهذا الخيط، نخترق به كل فئة وكل انقسام تحت أىّ مسمى، وبقوة عددنا نربط هذه الفئات بخيوط من حب موصول بقلوبنا وعقولنا وسيكون لون الدنيا هو اللون الذى نتمناه، لأن هذا الخيط الافتراضى سيكون بين كل إنسان وكل البشر فى كل مكان، وهنا نقدر كم عدد الخيط الذى يساوى عدد البشر فى هذه الدنيا ويصبح هذا الرباط قويًا بنا.

منتخب الثقافات

عندما نفكر بطريقة جديدة ستكون العناوين جديدة، وهذا العنوان لتقريب الرؤية.

فإذا كانت الدولة بها أندية متعددة للعبة ما، ولتكن كرة القدم، وأندية كثيرة، فهذه الفرق ترشح أفضل لاعبيها فى المنتخب القومى، وهذا المنتخب لا يتعارض وجوده مع الأندية لأنه منها، وبما أن كل الرياضات تتطلب لياقة بدنية عالية من الدرجة الأولى، وبذلك لا يكون كل أفراد المجتمع مشتركين فى ذلك، ولكن إذا كانت فكرة أو رؤية فسوف يشترك فيها كل أفراد المجتمع، فما هو المانع بأن نتصور بأنى أىّ دولة تصبح فريقًا داخل العالم، حول فكرة واحدة يدفع بها داخل العالم، يشترك فيه جميع أفراد العالم، أى تجتمع على درجة أعلى من التوافق والتصالح مع الجميع ونرتقى بعالمنا.

لنعلن رفضنا لمن يطلب منا العداء للآخر تحت أىّ مسمى معاداته الآخر بحلول فكرية، بثقافة مضافة جديدة نسميها ثقافة الواحد والعشرون، انتماء لهذه القرن الذى نعيش فيه، ونصبح الأفراد على مستوى مشتركين ومؤسسين، ومنتخب به كل أفراد العالم.

التصادم الأعمى

التصادم الأعمى للخلافات القائمة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما يتركه فى الحروب والفتن، تقتل الإنسان فى لحظات ولا يعرف عنه أحد سوى فى حصر عدد الضحايا، لم يعرفوا ما هى كانت طموحه وآماله فى الحياة، وما يتركه لأسرته ومحبيه، مثل شقيقى الذى فقدته فى أحد هذه الحروب من ثلاثين عامًا، وما زلت أفتقده بشدة، وفى نفس الوقت أقول لنفسى، يوجد أيضًا من هو مثلى فى الجانب الآخر المتحارب شقيق افتقد شقيقه، وما زال يفتقده، الاثنين قُتلا، ولم يعرف أحدهما الآخر، ألهم الجمع الصبر يا رب.

الحروب والسلام

تقابلت مع أناس كثر، عندما يتطرق الحديث عن الحروب وعن السلام تجد عندهم قناعة بأن لا بد من الحرب أما السلام فتجده شيء سطحى، وكأن العيش فى سلام شيء مؤقت، ولاحظت شيئًا مهمًا، بأن لا أحد يقف ويفكر لماذا هذا الواقع؟! والجواب عند الجميع تقريبًا بقول التاريخ يقول هذا، وهذا صحيح بالفعل، ولكنى أجد المقومات الكثيرة، وليست الكلمات الكثيرة تتعارض مع هذا المنطق السلبى، أولها بأن الحرب ليست لها مواعيد محددة، ولا السلام أيضًا، أى أن الاثنين متوقفين على مدى التفاهم بين الأطراف المتنازعة، وبذلك يطول السلام أو الحرب، أى أن الحرب ليست حاجة مثل أشعة الشمس، أو أنها تأتى بثمار ليست موجودة، بل ثمار يشكو الكل مرارها.

بل يعود ذلك إلى عقل الإنسان ومدى تحضره، وعندنا أمثلة واضحة لذلك، السوق الأوروبية المشتركة، هذه الدول الأعضاء كانوا يومًا بعضهم من أشد الأعداء، ولكن بالعقل والتحضر وصلوا إلى هذه المرحلة، شعوبهم أصبحت فى حالة جيدة من شتى النواحى الاجتماعية، مقابل شعوب تعانى من الفقر والجوع والحروب بسبب قادها المتاجرين من دعاة الحرب فى العالم الثالث، فلا يجب أن ينساق أفراد هذه الشعوب خلف من يدعوهم للحرب لأن فى هذا فقرهم، فيجب إدراك ذلك على الأقل.

الإرهابى

تمنيت يومًا أن أجلس مع إرهابى حقيقى وهو الذى يفجر نفسه أو يفجر بوسيلة أخرى، يقتل فيها ما يقتل، لأسأله بعض الأسئلة الملحة لأرى فيها عقله وكيف يفكر، وقد أتيحت لى الفرصة لذلك على قناة عراقية، وحقيقة أقولها ولم أتوقعها أننى أشفقت على هؤلاء لأننى كنت أتوقع أن يتحدثوا عن رؤية مقتنعين بها، ولها فلسفتها ودوافعها التى من أجلها يفعلون ذلك، ولكن للأسف رأيتهم ضحايا من ضمن الضحايا، تلاعب بهم تجار الدين واستغلوا ظروفهم المختلفة وأوقعوهم فى شباكهم القذرة، لفقرهم وجهلهم بالحياة والمقصود منها، لماذا خلقنا الله وخلق لنا الدنيا بما فيها، وقلت لو اقتصد صانعى لسلاح بعض الشىء من تكاليف أسلحتهم فى تعليم وتثقيف هؤلاء لما كان ذلك الذى نشكوا منه من إرهاب.

وأقول لنفسى أيضًا إن تحقيق ذلك ليس بالشىء السهل، ولكن وجدت أن من السهل علينا كأفراد فى كل مجتمع، وبالأخص العالم الثالث أن نقف فى وجه كل من يدعو للتفرقة بين البشر، وأبسطها عدم الإنصات له، ونقول له هذا ما جعلنا فقراء وجهلة، وأنك لن تنفعنا بل تضرنا، وأثبت التاريخ ذلك، هل ذلك صعبًا؟

قواعد الضعف

تقابلت مع صديق قديم بعد عدة سنوات، وجلسنا نتحدث عن أمور الحياة بصفة عامة، وبصفة خاصة عن المجتمع الذى نعيش فيه كوننا من أحد دول العالم الثالث، ولكن وجدت أنه يركز على السلبيات الكثيرة التى بها من سلوك أفراد ومسئولين بتفاصيل مختلفة، وأن بهذا الوضع لن نتقدم فقلت له أؤيدك فى ذلك، ولكن كل السلبيات التى ذكرها لها أسبابها ودوافعها، وطال الحوار، واردت أن أصل للنقطة الفاصلة التى توضح مقصدى بسؤاله ماذا فعلت أنت تجاه هذه السلبيات، إذا كانت محلية أو دولية، فقال لى، هل لى إصلاح العالم، فقلت له نعم، وأيضًا قادر على حل كل ما تراه سلبيًا أنت شخصيًا، فضحك ونظر لى وكأننى أسخر منه، فقلت له، لا تفهمنى خطأ، وقبل توضيح كلامى رنّ تليفونه المحمول، وقبل أن ينتهى من حديثه جاءنا ضيف وانتهت الجلسة، ولم نعد للحوار، ولكن تأكد لى أن الضعف له قواعده التى يقوم عليها، ومن قام بتثبيت هذه القواعد، وأحدهم صديقى، لأنه نظر للسلبيات الكثيرة والكبيرة، نشعر بالعجز، والاستسلام بالشكوى، ولم يفكر فى الأسباب التى أوصلتنا لذلك، ولم يقدّر القوة التى لديه، القادرة على تحقيق أمنياته، مع أنه لو عرف المطلوب منه فلن يتأخر، بل سيزيد منها، لأنها بسيطة جدًا مقابل ما سيجنيه من إيجابيات، ولكنه لا يجيد توظيف هذه القدرة، وهى نقطة الضعف عنده وعند الكثيرين جدًا، وأصبحت الصفة المشتركة بين أفراد العالم الثالث الذى يشكو منه، وبالنظرة

المحدودة بأن الحياة هى المنطقة أو الدولة التى يعيش فيها، وأن المشاكل التى هو بداخلها مصدرها خارجى، من خلال الحروب وتكلفتها المادية ومن وقت، وأسباب كثيرة أخرى، باختصار من معاداته للآخر ذو العقيدة والدين المختلف، ولكن إذا اتسعت رؤيته للعالم، وأدرك ذلك فهو قادر على حلها بالفعل وباستطاعته، بأن يضع السلام من ضمن اهتماماته، ويفكر فى هذا الأمر، وبعدها يدعم من يدعو للسلام من حكامه، ويرفض كل من يدعو لعداء الآخر تحت أى مسمى، بالرد عليه بالقول، أنت المتسبب فى كل السلبيات التى نشكوا منها، هل لست قادر على ذلك؟ هل ذلك صعب؟ فعندما قلت له المشكلة بين يديك، اعتقد أنى أسخر منه.

الثقافات والحضارات

هى القضة الكبرى بالنسبة للإنسان من قديم الزمان، ولا أحد يقول غير ذلك، وبهذا أصبحت القضية الكبرى، نحن جميعًا كأفراد على مستوى العالم قد سلمنا بهذا الواقع، وليتنا حتى فى مجموعات صغيرة بها الآلاف، بل كل فرد منا داخل كتلة بها مئات الملايين، وفى أىّ تصادم أو حتى إثبات الوجود يكون الضحايا فى هذا الصراع نحن الأفراد، أعنى أننا جميعًا مشاركين فى قضية نحن ضحاياها قضية خاسرة للجميع، وإذا حاولنا التوافق على هذا الوضع، أى ملايين تتوافق مع ملايين، فذلك من الصعب تحقيقه مع حاجتنا جميعًا لذلك، أو حتى من خلال المندوبين عنهم، من خلال المؤتمرات والاجتماعات، ويشهد على ذلك التاريخ.

إذن توجد نظرية تدعو إلى تفتيت كل الثقافات، لتكون ثقافة واحدة، وذلك لن يقبله أحد كأفراد، وأنا أحد هؤلاء، لأن الثقافة المحلية هى جزء من من كيان كل إنسان، إذا كان يفهم من ذلك محوها أو البعد عنها، والتسليم لهذا الواقع خسارة للجميع أيضًا.

إذن ما هو الحل؟

من المصادفات التى تنسجها الحياة لبعض الناس، أن يجد المرء نفسه مهمومًا بقضية ما، وهى مُلحّة، ولكن فى نفس الوقت ليس لها حل، وهى أكبر منه، وبما أنه يعيش داخلها، فلا يتبقى له غير التفكير فيها من كل الزوايا من باب المتابعة أو الفرجة أو الملاحظة، ليفاجأ بأن الحل موجود وأبسط مما يتخيل إذا اتبع أسلوبًا رآه جديدًا، وهذا

ما ينطبق على قضيتنا، فيوجد الحل طالما الإرادة موجودة عند أطرافها، بل تصبح الإرادة حتمية، عنما يكون الصالح لصاحب الإرادة، وأول هذه الإرادة أننا جميعًا نتمنى أن نعيش فى سلام، أى أن القاعدة المشتركة بيننا جاهزة لبناء هذا السلام، وذلك ما سيكون عليه الحل من الجميع، من خلال فكرة أو رؤية تقول "الحل الفردى".

مضمون هذه الفكرة أو الرؤية "الحل الفردى" بثقافة جديدة، نقول، نحن جميعًا نتمنى السلام كأفراد على مستوى العالم، مع الاحتفاظ بثقافتنا وعقائدنا داخل هذه التكتلات، وهذا حق شرعى للجميع، إذن مطلوب تفادى المشاكل التى تنجم بيننا، وأسباها كثيرة

تنجم حتى عن رسم كاريكاتير، فنقول أن عدد الثقافات فى العالم خمسة أو عشرة أو عشرون، فأنا لا أعرف بالتحديد، ولا يهم العدد فى رؤيتنا، ومع ذلك مطلوب إضافة ثقافة واحدة افتراضية إضافية، نشترك وننتمى إليها جميعًا كأفراد على مستوى العالم، تحت أىّ مسمى وليكن ثقافة الواحد والعشرون، انتماء للقرن الذى نعيش فيه، وبشكل فردى بعيدًا عن الحكومات ومتخذى القرار، حتى لا تعود المتاجرة بنا، وهذه الثقافة سيكون لها دستورها الإنسانى البحت، وأكرر كنت أتمنى أن أكون كاتبًا محترفًا، حتى أنقل لك أخى الإنسان الرؤية لهذا الدستور، بصياغة أتمناها، أن تكون واضحة كما أراها وأشعر بها، ولكن خطوطها العريضة تقول، أن الشراكة والدخول والتجمع فى هذه الثقافة لن يكون بتسجيل أسماء أو عناوين، بل شراكة نفس وعقل وضمير إنسانى، بأن يأخذ كلٌ منا قراره بينه وبين نفسه، على ألا يشجع من يدعو لكراهية الآخر، ويشجع من يدعو

للسلام ويدعمه، وأن يكون كل العالم عالم كل فرد لا يقبل بغير الخير له، حتى من داخل مجتمعى أعيش الذى أعيش فيه جغرافيًا، ولنسبح بروح المحبة فى سماء الدنيا بأكملها، وددت أن أكون شاعرًا أيضًا.

أخى الإنسان أنا قد اتخذت قرارى بذلك، بأننى لن أسمح لنفسى بقبول ما يفرقنا من اليوم.

المشهد الكبير

أبدأ كلماتى عن هذا المشهد وأنا سعيد، ليس برؤيته، ولكن لوضوحه على أرض الواقع، ويكفى الإشارة إليه، ولكن نحن خارجه نظر إليه، فهو نموذج لجزء من العالم يحوى فى طيّاته كثيرًا من نماذج لما قلناه وسنقوله، وهى قضية الشرق الأوسط، وأبرزها العرب وإسرائيل، ومبادرة الرئيس الشجاع، رجل السلام "محمد أنور السادات"، عندما نادى بالسلام، وذهب بشجاعة واعية متفتحة ليعقد اتفاقية "كامب ديفيد"، متصديًا لأمواج العداء، فانتفض الجهلاء من أعداء السلام، أعداء الإنسانية، وقتلوه من رؤساء دول وجماعات تحت تفسيرات مختلفة، وكانت النتيجة عشرات السنين قد مرت، قتل فيها الآلاف من البشر، وخسارة المليارات فى دول فقيرة، ويقال عن ذلك الكثير، قادة هذا العداء أنفسهم نعرف جميعًا مصيرهم، ياسر عرفات، صدام حسين فى العراق، الأسد فى سوريا، القذافى فى ليبيا، حسنى مبارك فى مصر لأنه لم يدعم هذا السلام، وما تركوه لشعوبهم وغيره وغيره من جماعات لا تؤمن بالسلام، ولكن عند تصورنا للمشهد الآخر، إذا التفت هؤلاء الناس حول الرئيس "السادات"، وقاموا بدعمه فى طريق السلام، أترك لك أخى الإنسان أن ترى الفرق بين دعاة العداء ودعاة السلام.

ملحوظة، اليهود عاشوا معنا فى السنوات الأخيرة فى بلادنا، ولم يدخل إنسان عربى الديانة اليهودية، ولم يعادوا المسلمين، وأشهد بأنى سمعت من أناس ممن تقابلت معهم، وتعاملوا معهم، ويشهدون لهم

بحسن الخلق والمعاملة، أما الخوف منهم، ووصفهم بأشياء على أساس أنهم ليسوا بشر، فهذا أسلوب تجار الحرب والدماء، ونتيجة ما هم فيه، فهم يقتلون أهلهم، فنرى بأنفسنا نحن الأفراد، ليس لنا كلمة، وقد أضلونا لأننا لم نبحث عن حقوقنا فى إبداء رأينا ورؤيتنا، بل قبلنا أن نكون ضحايا، وأدواتهم هى نحن أيضًا، وهكذا سنجد فى كل مناطق العالم هؤلاء أعداء السلام، فكفى صمتًا واستسلامًا، فعلينا تحمل مسئوليتنا كأفراد لأننا نتحمل النتيجة.

الدستور، ومنتخب الكرة

عندما يلعب منتخب كرة القدم، ويصل لاعبونا بالكرة إلى مرمى الخصم، نحبس أنفاسنا، ويتجمد الجسد كتمثال من الشمع، لأن الأمل، أمل إحراز الهدف صار قريبًا، وستتبعه بالضرورة فرحة نعرفها.

هذا جانب رياضى نحبه كأحد جوانب حياتنا، لكن، عندما يكون الأمل شيء أكبر بكثير، ويشمل الحياة بكل ما فيها، ولا يكون الطريق إليه أطول من المسافة التى بين الكرة والمرمى القريب، وليس مطلوبًا لتحقيق هذا الهدف إلا نظرة جديدة، ورؤية مختلفة، وتكون أنت شريكًا فى إحراز الهدف، والفرحة بنتائجه، أعتقد أن الأمر يستحق منا التوقف كثيرًا.

الفكرة هى أن نصبح كلنا فريقًا واحدًا، أن تصير كل الفرق هذا الفريق الواحد، وعلى الجانب الآخر يكون الفريق الخصم، هو الإرهاب، الفقر، الكره، فنعمل جميعًا على تسجيل أهداف فى هذا الخصم، وهزيمته، والنتيجة هى المحبة والسلام والأمن.

ليكن المحبة والسلام والأمن دستورنا، ما ترضاه على نفسك ولنفسك، أرضاه أنا ليكون دستورًا نرجع إليه، ليست تلك مغامرة منى، فأنا أراهن على طبيعتك الإنسانية، وأعرف أنى سأكسب الرهان، أعرف أنك عندما تريد أن تُرضى فطرتك الإنسانية، وتطلب

لها أجمل وأغلى شيء، فلن تخرج عن السلام والمحبة والأمن، وهذا ما أريده لنفسي.

أنا الذى تتوقف أنفاسى، ويتجمد جسدى كالشمع كلما تلفتُ حولى ورأيت كل هذا التباعد الإنسانى، أغضب لتلك الحوادث التى لا تتوقف عن أن تصيب الإنسان كل يوم فى أىّ مكان من الأرض، أقصد الحوادث الإنسانية التى تدمر المسافة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

نحن فى النهاية، ومهما تعددت ثقافاتنا فريق واحد، وعندما نجعل من أنفسنا فرقًا متعددة، ونحرز أهدافًا فى بعضنا بعضًا، فإننا بذلك نضع الكرة فى المكان الخطأ، وننهزم معًا.

الفريق واحد، والهدف واحد، دعنا نحرزه، نضع الكرة فى المكان الصحيح، وننتصر معًا.

الأمل

الجميل فى الأمل أنه لا يمل، ولا يكل من تكرار المحاولة، ويزداد الأمل جمالاً كلما اقتربت من تحقيقه.

سأحتاج الأمل هنا فيما يسمى تصادم الحضارات أو الثقافات، تلك القضية التى يكمن حلها فى سنتيمترات قليلة، هى محيط رأس الإنسان، نعم رأسك أنت أخى الإنسان، كلام غريب؟ طيب على رأى المثل "خللى اللى بيتكلم مجنون والسامع عاقل"، وخذ منى للنهاية: أما البداية فأنا أقول لك أنه إذا ما جاءك شخص يحمل ورقة بيضاء، أو إذا وصلتك تلك الورقة عن طريق البريد، وكان مطلوبًا منك أن تكتب فيها أمنيتك الخاصة الكبيرة، حتى نجعلها دستورًا لكل البشر الأسوياء، فإنى سأوقع على أمنيتك تلك دون أن أقرأ الورقة وما كتبته أنت فيها، لماذا؟ لأنك إنسان، وهذا يكفى ليجعلنى أثق أن أمنيتك الكبرى ستتفق مع أمنيتى، أنك تحب الحياة، وتسعى فيها للسعادة، ترغب فى الأمان لنفسك ولأسرتك وبلدك، ولأىّ إنسان فى أىّ مكان من العالم، لذا وقعت أنا على أمنيتك مقدمًا.

أعرف أنك عندما تُسأل عن أمنيتك الكبرى، فلن تطلب عينًا إضافية أو ذراعًا أو قدمًا، وهذا يعيدنا من جديد إلى فكرة الإنسان الفرد، وأنه صاحب القضية الأساسى، القضية كلها فيك أنت، فى السنتيمترات التى تمثل محيط رأسك، تخيّلنى أخى وأنا أوقع على أمنيتك الكبيرة مقدمًا، تخيّل نفسك عندما تعلن تسامحك مع البشر وتوقّع معهم على تلك الأمنية الكبيرة: الحب والسلام، هذا التوقيع الذى تضعه بعقلك وقلبك، سيكون الخطوة الأولى فى طريق السلام الحقيقى.

الوعاء

طبيعى جدًا أن أىّ وعاء لا يختار ما يوضع فيه من طعام أو سوائل أو غيره، سواء كان صالحًا أم فاسدًا، فذلك يحدده الإنسان الذى يختار الوعاء وما يوضع فيه معًا.

الغريب جدًا، أن توضع أفكار ومفاهيم داخل رأس الإنسان، ولا يعيد هو التفكير فيها، ولا يستطيع التمييز إن كانت صالحة أم فاسدة، فيصير هذا الرأس البشرى المتوقع منه أن يفكر، ويحلل، ويفهم، ويميز، يصير مثل وعاء مصمت عاجز، غير قادر على التمييز، فاقدًا للإرادة والاختيار.

أخى الإنسان، أنت قادر على التفكير، التمييز، والاختيار، فلا تضيع الفرصة، لا تهدر هذا الامتياز.

السوس الصالح

معرفتنا بالحشرة التى تسمى "السوس"، أنها رغم صغرها فهى تنخر الخشب حتى تفسده، هى صغيرة حد أنها قد لا يمكن رؤيتها إلا بتدقيق النظر، هى مع ضعفها يمكنها أن تهدم بيتًا كاملاً، وتفسد ما بنته مئات الكائنات القوية، ذلك لأنها تعمل بجد وتصميم، كأنها واثقة من نتيجة العمل بهذه الطريقة، ولأن كل فرد منها يؤدى عمله بدأب ومثابرة.

لماذا لا نكون هذا "السوس"، لكن بدلاً من أن ننخر فى الأشياء الجيدة لنفسها، ننخر فى الفساد حتى نقضى عليه، نفعل ذلك بجد وتصميم، وثقة فى قدرتنا، لماذا لا يؤدى كلٌ منا دوره بمثابرة، وثقة فى أنه يكمل بعمله عمل الآخرين.

لا يهم أن نكون مرئيين بشكل جيد، المهم أن يكون عملنا ضخمًا وقويًا بشكل واضح لا يمكن تجاهله، عندها سنكون مرئيين، وأقوياء.

الخوف من الخائف

كلّ منا يخاف من الآخر، يخاف ممن يبدو مختلفًا عنه، وبسبب هذا الخوف، يكرّس كل خلف ظهره وفى خزانته كل ما يستطيعه من أسلحة، وخطط تدميرية، ويكرّس فى قلبه، كل ما يستطيعه من كراهية، ومشاعر معتمة تمتلئ بالشرّ والوحوش.

عندما تحصل تلك الوحوش على فرصتها فلن تميّز بين أحد.

عندما يحصل الشرّ على فرصته كاملة، لن يُبقى على أحد.

كلّ منا يزرع فى قلبه الخوف من الآخر، ولديه من وجهة نظره أسباب، وطريقة فى ذلك الخوف.

كلّ منا يريد تخويف الآخر، ولديه من وجهة نظره أسباب، وطريقة فى هذا التخويف.

أنا أخاف منك، أنت تخاف منى.

كلّ منا يخاف الآخر.

فصار حالنا: خائفٌ يخاف من خائف.

المَصْلْ

الصفات الأصلية، الأصيلة، والأساسية فى الإنسان، لا تتغير بتغيّر الجغرافيا.

المشاعر الخام، التى تقوم بها وعليها الشخصية الإنسانية، والحقيقة الإنسانية، لا تتغيّر من إنسان لآخر تبعًا لمكان وظروف تواجده، تمامًا، مثلما يحدث أن يتم اكتشاف علاج لمرض ما فى أىّ مكان من العالم، فإن هذا العلاج يكون صالحًا فورًا لأىّ إنسان، مهما كانت ظروف بيئته وجغرافيته، حتى لو كان فى زمن آخر.

كل إنسان فى العالم يمتلك "المَصْلْ" فى يده، فقط عليه أن يحقن به قلبه وعقله.

بالتأكيد هذا "المَصْلْ" ليس الحرب أو الكراهية أو العداء أو القتل، فقد جرّبهم الإنسان لسنوات طويلة ولا يزال مريضًا، وأُرغمت عليهم الإنسانية لسنوات طويلة، ولا زالت تفقد من قيمتها ومعناها ورقيّها.

كل إنسان يمتلك "المَصْلْ" ويعرفه، ولا حاجة لتسميته.

تستحق الإنسانية أن تحصل على شفائها، أن تحيا بقيمتها ومعناها ورقيّها.

الحب الكبير

التأمل والتخيل من أجمل الأشياء، كأنهما جناحان نطير بهما فى سماء الدنيا، ليدور العقل المتحرر ويرى بهما مختلف أركانها ويقارن بين هذا وذاك، ويعود برؤية شخصية تساعده وتساعد الآخرين.

وجزئية التخيل والتأمل هذه موجودة ومُعدّة داخل العقل، وليس فى ذلك خوف من حساب أو عقاب عليها، فهى فى النهاية فكر وتأمل "إنسان"، ولكن حاجتنا التأمل والتخيل تعود بالأساس إلى حاجتنا كبشر لحياة أفضل.

والحياة الأفضل لا تأتى بالتعارض الشديد بين الأفكار حتى تصل إلى التطرف، الذى يرى فيه المتطرف إقصاء الآخر، ولا يفكر فى طريقة يتعايشان فيها سويًا بسلام وحب، وللأسف يرى المتطرف الحياة من وجهة نظره فقط، على أساس أنها أوامر من الله وإرضاء لله، لكن إذا حاول هذا الإنسان أن يرى أو ينظر حوله بحب وعقل متفتح، وعرف أن تمسكه بما تعلمه جميعه، الإيجابى منه والسلبى أمر غير صحيح، فالظروف والأحداث والأفكار تتغير وتتطور عبر مرور الزمن، بينما يظل الحب هو الداعم الحقيقى للحياة.

حب الله للبشر، وهو الحب الكبير، ومن لا يقبل بذلك فهو يغضب الله، وهذه الفكرة ليست محاولة للتفلسف، وليست مجرد وجهة نظر، وإنما هى واقع لم نفهمه جميعًا للأسف، وهو أن الله خلق

الكون على الحب، والدليل الفعلى على ذلك ليس به مغالطة أو شك فى حب الله للبشر وكرمه عليهم، يتلخص هذا الدليل فى ثلاث نقاط:

١–أن الله أعطانا الوجود.

٢–أن الله أعطانا الروح.

٣–أن الله أعطانا الحب.

ويجب أن نتوقف عند الحب، أقصد حب الله للبشر، فهناك شيء جميل جدًا يتكرر أمام أعيننا، تعالى نتأمله الآن بزاوية مختلفة، وهو أنه عند ولادة الطفل، أو حتى قبل ولادته وقتما كان جنينًا، وقبلها الحب بين والدى هذا الجنين، سنرى أن الطفل منذ اللحظات الأولى قد جاء إلى الحياة ممتلئًا بالحب تجاه أمه، هى أيضًا استقبلته بكل الحب، وكذلك فعل الأب وكل الأسرة، ثم بدأ هذا الطفل يكبر ويكبر حتى صار غلامًا وصبيًا، وهو لم يدرك بعد وجود الله مثلما يدركه الكبار، لكن، من الذى خلق هذا الصبى؟ إنه الله، أى أن الله أراد حب الإنسان للإنسان قبل حتى أن يدرك هذا الإنسان وجود الله.

حب الإنسان للإنسان درس يجب أن نتعلمه، وأنها رغبة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أراده لعباده، وهذا من عظمته تعالى، ولا يملك الإنسان عندها إلا أن يقول "سبحان الله".

فكيف لإنسان أن يقتل الإنسان المختلف معه فى الفكر، ويدّعى أنه يفعل ذلك حبًا لله؟! ألم يلاحظ أن الله لم يخص هذا الحب بفئة أو جماعة، بل أعطاه لكل البشر، كل البشر.

الحل الفردى

هى فكرة ورؤية فى نفس الوقت، خرجت من نتاج حالنا نحن الأفراد على مستوى العالم، من لحظة ولادها أراها تكبر كلما نظرت لها من زاوية أخرى، غير كثير من الأفكار، بمعنى أن أىّ فكرة عند تطبيقها على أرض الواقع يلزم لها الكثير أو القليل من الأدوات والمال والجهد، أما هذه الفكرة، تشبه الأرقام من زيرو إلى تسعة، متراصة، عند تبديلها رقم مكان رقم تتغير قراءها، مع أها نفس الأرقام، أى أها لن تتعدى العقل وهو يفكر لتغيير شيء ما، وهنا هى رؤيتنا للحياة من جانب آخر، وهى الأسلوب الذى نتبعه فى تحقيق ما نتمناه، والنتيجة معروفة مسبقًا، مثل من يراهن على أن الهواء به أكسجين، وهى فكرة "الحل الفردى"، نبدّل الأرقام داخل عقولنا بدلاً من أصابعنا، وكأن الخالق سبحانه وضعها أمامنا طوال الوقت، ولم ندركها، ولم نرها مع أها أمامنا طوال الوقت، بأن الله خلق لكل منا عقلاً خاصًا به، وفى نفس الوقت خلقنا نحتاج لبعضنا بعضًا لنعيش فى مجتمعات لصفاتنا الواحدة، وذلك حتى لا ننساق خلف عقول أخرى، طالما تضرك ولا ترضيك، حتى يكون الحساب يوم القيامة، ونعرف أنه بشكل فردى، ونحن نبرز هذه الجزئية الآن، حتى نبدل الأرقام ليكون الناتج لصالحنا جميعًا فى هذه الحياة، لأن المشاكل الموجودة من حروب وفتنة وإقصاء للآخر، كلنا نشترك فيها لأننا نتحرك تحت إمرة قائد بالملايين فى كل ثقافة أو دين أو عقيدة، ونترك له هذه المسئولية الكبيرة عليه وعلى مساعديه، وذلك أثبت فشله، ويشهد التاريخ

على ذلك لوجود الحرب والدماء يوم حتى الآن، وذلك من مئات السنين، فماذا يمنعنا من التصور؟! أن يتخذ كل فرد فى هذه الدنيا قراره الخاص من البشر الأسوياء، بالدفاع عن طلبه فى الحياة بأن يعيش فى سلام، فكم ستكون عدد الطلبات فى العالم؟ وما هو المطلوب لتحقيق ذلك؟ ليس أكثر من هذا القرار بين كل إنسان ونفسه، بإرادة وعزيمة، بقول لا لكل من يدعو العداء للآخر، ستترجم على أرض الواقع بشكل تلقائى، وتكون البذرة الأولى للسلام الكبير، لندفع القادة إلى تحقيق جزء من السلام فى الفترة التى يتولى فيها إرادته وبحثه عن أسلوب يناسب المشكلة التى يديرها بالسلام، وإلا أصبح فاشلاً، ولكن لن يفشل القادة طالما رغبتنا وإرادتنا كأفراد على مستوى العالم، فهل ذلك صعب علينا؟

آسف أخى الإنسان، قد أطلت عليك فى تقديم الفكرة، ولكن اعذرنى، أرى فى صحراء الخلافات بيننا بئر سلام، أنادى عليك من خلال كلماتى، يعلو فيها صوتى مرة، وينخفض مرة، ويتحشرج مرة، فى كل اتجاه بسعادة كبيرة مؤجلة حتى تسمعنى، أقول ذلك لأنك ستجد صياغات كثيرة متشابهة تدور وتشير إلى نقطة واحدة، وهى "الحل الفردى"، إذا كنت بعيدًا أو قريبًا لنتشارك الرؤية لأنها لا تكتمل بدونك.

الثقافات والحضارات "الحل الفردى"

عندما تولد فكرة أو رؤية من أىّ إنسان، نرى فيها شيئًا إيجابيًا، وصالح يقلل من هذا التصادم، فلا نتردد فى رؤيتها من كل جانب، ومن كل الزوايا، وصياغتها بلا ملل، ودعمها بكل الوسائل أيضًا.

ولكن جمال فكرة "الحل الفردى" مبدئيًا أن الوسيلة لتحقيق ما نتمناه فى هذه القضية متاح لكل إنسان وميسر وبسيط جدًا، وهو إعادة التفكير بإعادة النظر بأسلوب مختلف فى الوقت المتاح لك، وليس أكثر من ذلك.

نعم أخى الإنسان، وأقولها بثقة وأراهن على الإنسان الذى لا يقدر هو نفسه على تغيير صفاته وطبيعته البشرية، وبرغبته فى العيش بسلام وأمان، وحياة كريمة له ولأسرته ووطنه، فهل من إنسان سوىّ على وجه الأرض لا يقبل ذلك؟ أو يعترض على إذا كنت أنا أو أنت؟! بالطبع لا، ولكن ما هو الذى يقف فى تحقيق ذلك، هى الثقافات والحضارات وتصادمها، وهى قضايا فكرية وعقائدية، والإنسان عنده أمل فى إزالة هذه الخلافات بعقد اجتماعات ومؤتمرات لذلك من مئات بل آلاف السنين، ولكن للأسف ما زالت الدماء تسيل، والإقصاء والعنف والإرهاب، وما ينتج عنه من فقر وجهل يجعل الحياة خصبة لاستمرار هذه الحالة، ويعنى ذلك بأن هذه القضية أقوى من القائمين عليها فى كل وقت مضى وحتى الآن، ويعنى ذلك أن الأسلوب المتبع والأداة التى من المفترض أن تحقق ذلك عن طريق هذه الاجتماعات، والمؤتمرات التى تدخل فيها أيدولوجيات

ومصالح وجماعات على الأخرى على مفهوم أنها مكاسب، وقد طال الانتظار كثيرًا، والأمل إذن فى الوسلة الجديدة وهى "الحل الفردى"، وهى رؤية مقوماتها الكثيرة فى الواقع الذى سنطرحه بما أننا الأفراد فى كل أنحاء العالم سميت بنا شعوب ودول، عندنا القدرة الكاملة لتحقيق أىّ هدف نسعى إليه، ولا أحد يقدر على تعطيله من المتاجرين، لأنه يكشف عن نفسه، وليس عندهم القدرة التى توقفنا عن تحقيق أمنياتنا، لأن الأوراق كلها بأيدينا، فى عقولنا وأنفسنا، وإيجابيات هذه الفكرة ستكون بقدر احتضانها، ولكن بالشكل الفردى وليس الجماعى على مستوى العالم، وهو سرها وشفرتها فى هذه الجزئية، أى لا يصلح أن يكون أحد وكيلاً عن أحد، بل كل فرد بشخصه، وستعطى تصورًا سريعًا لذلك، وسنوضح الباقى فيما بعد، وسنطبق ذلك على نفسي:

١-أنا فرد داخل دولة لها ثقافتها الخاصة، وإذا كانت تشاركها دول أخرى أو لا.

النظرة الأولى للعالم بما فيه دولتى على أساس أننى أحد أفراد هذا العالم، أى النظر على كل أفراد العالم، ولا فرق بين واحد وآخر بكل صدق وإخلاص، على أساس أننى بداخل الأسرة الإنسانية، على أساس إذا كانت توجد خلافات ثقافية، وثقافتى بأننى لم أخترها، بل قدرية وأساسها من آلاف السنين، لم أكن المتسبب فيها، لا أنا ولا أنت.

أنا أرفض وأقاوم بالعقل كل من يطلب منى العداء للآخر، وأقول له ماذا جنينا من هذا العداء غير الخسارة!؟

أمدّ يد التعاون بين كل أفراد لعالم، أو أكون مستعدًا دائمًا، وأعطى ذلك اهتمامًا أكثر من ذى قبل.

فكرة الحل الفردى

فكرة الحل الفردى هى بسيطة جدًا ولكن مقوماها قوية جدًا، وقوها تأتى من الأفراد، كل الأفراد على مستوى العالم، وتوضيحها سيكون كيف بدأت الفكرة:

عندما قلنا فى موقف سابق بأنه إذا سئل أىّ إنسان سوىّ ماذا يتمنى لأىّ رحلة قطار غير السلامة، أو عن موت طفلة فى انفجار، تتأذى النفس البشرية جمعاء، فتوقفت عند كلمة "كل إنسان" على وجه الأرض، لا يقبل أشياء كثيرة يراها من حرب وعنف وإرهاب، فقلت لماذا أيضًا بهذه الفردية التى نتجمع حولها ونرفضها، ولا نقبل أن تكون وسيلة نتبعها فى حل مشاكلنا كبشر بعيدًا عن الحكومات والمؤتمرات التى لم تصل بنا إلى ما ننشده من سلام بيننا، ولا نقبل غير ما نرضى عنه، أى أن المشترك الأساسى والإنسانى موجود، وهو الأقوى من كل الخلافات الجانبية، وليس المطلوب غير اكتشاف كل إنسان قدرته الفردية لذلك، وعندما ندرك أن جبل الخلاف إذا أخذ كل منا حبة رمل لتفتت بسهولة.

وليس المطلوب غير التنسيق بيننا أنا وأنت أخى الإنسان، وذلك لن يكلفنا أىّ شىء سوى إعادة التفكير بهذه الطريقة، وذلك متاح للجميع، وسنستعرض توضيح ذلك، بنفس الأرقام تتغير الحسابات.

وبذلك نكون جعلنا الحل من القاعدة العريضة كأفراد على مستوى العالم، وليس من القمة، وأننا حلقة الوصل بين الجيل السابق واللاحق، ولا نكون نسخًا مكررة.

"الحل الفردى ٢"

رحله فكرية كانت نهايتها فكره تقول: الحل الفردى

وهى النقطة الجوهرية والأساسية لما قلناه وما سنوضحه، ولذلك من الممكن أن نجدها مكررة فى سياق بعض النقاط مثل القنوات والجداول، مهما تغيّر شكل تعوجاها، ولكن فى النهاية تصب فى النهر.

أيضاً كل الانفعالات والسلوكيات من ثقافات ومعتقدات تنعكس على الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر بشكل فردى تحت مسميات كثيرة، وبما أن جمع الأفراد سُميت شعوب ودول أصبحت العالم، أى أن فكرة أو رؤية جديدة يجد فيها الفرد حل فهى ستصلح لأىّ فرد، مثل المصل الوقائى ما يصبح عالميًا ويعالج كل البشر.

وبما أن قضية الثقافات والحضارات صعبة الحل، لأن كل ثقافة بها كتل بشرية تُعدّ بمئات الملايين، فمن الصعب تحريكها لرؤية، لأن هذه الرؤية لا بد أن يحللها القائمين على إدارة هذه الكتلة من قيادها، الكل حذر، ويدخل فيها حسابات وأيدولوجيات تقف فى طريق هذه الرؤية، والدليل على ذلك يشهد عليه التاريخ مئات بل آلاف السنين، وهذه القضية القائمة.. لم تحل، ولا نقول قلة عقل، بل العقول موجودة، واخترقت الفضاء، وصنعت ما يبهر فى كل المجالات من تكنولوجيا أفادت البشرية.

ومن ناحية أخرى، التسليم بهذا الواقع خسارة فادحة من تصادم هذه الثقافات، من قتل وفقر وتوتر دائم، والكل يشكو ذلك سواء

كان ضعيفًا أو قويًا، فقوة العالم من قوة الدول من قوة الشعب، وقوة الشعوب تبدأ من الأفراد، أى أنت أخى الإنسان تحمل من هذه القوه العالمية، وأنا أيضًا، وكل الأفراد فى العالم، فإذا قمنا بإعادة النظر فى واقعنا، فلن يرضينا، بل لسنا راضين عنه، لأننا ضحايا الخلافات، ونتائجها من فقر وقتل وإرهاب ومتاجرة.

وبما أننا انتظرنا كثيرًا أن يأتى الحل من أهل القمة، مئات بل آلاف السنين، ولم نصل إليه، فما هو العيب أو الخطأ فى أن نحل هذه القضية بأنفسنا، أى بشكل فردى، أى الذى ترضاه أنت وأرتضيه أنا، مع اختلاف ثقافتنا، سيرتضيه كل البشر، لأن من منا لا يقبل السلام فى أىّ ثقافة؟! والرهان على طبيعتنا وإنسانيتنا ستكون الرابحة بكل تأكيد ولن يكون بها خاسر، والفرق فقط سيكون فى تغيير الطريقة أو الأسلوب للحل بدلاً من انتظاره أن يأتى من القمة، سيأتى من القاعدة، وبما أنها رغبة حقيقية من أصحاب القضية أصبحت كل مقومات النجاح متوفرة.. للهدف الواحد والمشترك فى حياة أفضل ضمن هذه الرؤية، لن يزاحمنا أحد، ولن يقدر على إيقافها أحد، وسنكشف المتاجرين.

إذا احتضن كل منا من ينادى بالسلام ويدعم من له برنامج يُسأل عنه فى تحقيق ذلك، وأيضًا نشجع من يفكر ويعلن أفكارًا لتقارب الإنسان، إذا احتضنا هذه الرؤية، فذلك سيدفع بعجلة السلام بشكل طبيعى وتلقائى، أى أن جميعنا يعرفها.

القوة فى الحل الفرد

فإذا أخذ الإنسان " الفرد" الجزء الخاص به من ناحية العلاقة الاجتماعية التى نحن بصددها على المستوى المحلى "الدولة"، أو على مستوى العالم، سنجد الحل بسيط وغير معقد برؤية لا تضر بل تنفع .

تخيّل أخى الإنسان بعد أن عرفنا أن الظروف والقدر هما اللذان وضعانا فى ذلك، وبعد أن عذرتنى وعذرتك وأشياء كثيرة قلناها، ومرّرت يدى من داخل الكتلة التى أنا بها لأصافحك، وأنت أيضًا، وفعلنا ذلك سويًا، وأن نستغل وسائل التواصل الاجتماعى بيننا لتكون ثقافتنا الجديدة، لتصبح ملايين من هذه الكتلة قد مدّت يدها لملايين من الكتل الأخرى، لرغبة حقيقية فى أن تكون دنيانا أجمل، فى لقاء روحى قادر على تذليل قضايا كثيرة بشكل تلقائى.

أخى الإنسان.. مهما كانت كلمات الحب جميلة، فالحب أجمل فى أرض السلام، ليس لنكون مثل الملائكة، بل سلام البشر الطبيعى، ومقاومة غضب النسبة الطبيعية أيضًا فى البشر الغير أسوياء، وفى محاربة المرض ومحاربة الفقر، ويجب التصدى لها وذلك ليس سهلاً.

ومن أجل حياة أفضل من التى نعيشها، أن يكون الحل الفردى حلم كبير نسعى لتحقيقه، وليتصور كل فرد على سبيل التجربة مبدئيًا أنه متصالح مع كل البشر من كل الثقافات مع كل الأمم.

ولو أراد الله عز وجل لجعلنا أمة واحدة، ولكن من حكمته أنه جعلنا مختلفين اختلافًا طبيعيًا ليس به عداء، وأن الله يحب السلام، ومن أسمائه الحسنى "السلام".

لنعش هذا الحلم، ونعيش فيه ساعات أو أيام حتى نتذوقه فى حلمنا، لتكون نواة ندعمها بعقولنا وأرواحنا وفى الآخرين، لا تستهن بقوتك أخى الإنسان فى هذه القضية، فمهما كان، فالأمر نسبة وتناسب، أى قناعتك جزء من القضية، فأنت وأنا الكل، أنت والكل أنا، فليس على الأرض بشر غير أنت وأنا، فتركتنا ولم تتدخل فى شئوننا الخاصة بنا كبشر حتى سنرضى الأرض بتعميرها لا بحرقها.

رؤية الفكرة

عندما تولد فكرة ما عند أىّ أحد، ويرى مقومات نجاحها مؤكدة، يظل قلقًا لأنه لا يعرف ماذا سيتم عند تطبيقها، ويتساءل هل من شيء لم أدركه؟ ومن الممكن أن تطول هذه الفترة أو تقصر، لكن، ولحسن حظى لم تطل هذه المدة بالنسبة لى، ما جعلنى أكثر اطمئنانًا و...، وذلك لوجود تشابه كبير بين مبدأ فكرتى وحدث جرى فى الفترة الأخيرة، حتى إن كان نموذج صغير بالنسبة إلى العالم، وأقصد بالحدث هنا، الثورة المصرية فى ٢٥ يناير عام ٢٠١١، والتى بسببها رأيت أن أكتب هذه الصفحة قبيل طبع الكتاب، لتكون إضافة مهمة وتوضيحية، فالثورة فى مضمونها تؤكد فكرة الحل الفردى، وقدرته على التغيير مثلما عرضت سابقًا فى الكتاب، وقد رأيت فكرة الحل الفردى تطبق تمامًا فى هذه الثورة، ثم ثورة ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣.

وليس ببعيد أن نجد ثورات أو متشابهات فى المبدأ نفسه، ولكنى أتحدث عن الثورة المصرية تحديدًا لأنى عايشتها منذ البداية، ورأيت تلك الأنفاس التى كانت تخرج من كل فرد، وعدم رضاه عن الحال الذى يعيشه، وأنا فرد من كل هؤلاء الذين يمثلون المجتمع، ولذلك كانت الثورة نموذج حى لفكرة الحل الفردى على مستوى العالم نظرية وتطبيقًا.

قبل الثورة كنت إذا سألت أىّ فرد عن حال المجتمع، فإنك تجد عدم الرضا، وأكرر هنا: الأفراد غير راضون، ولست هنا بصدد أسباب عدم الرضا، ولكنى أتحدث عن الأفراد، أو على الأقل تسعون

بالمائة غير راضين، فبدأت أصوات أفراد من هذه الشباب الغاضب، تعلو وتهتف بشجاعة وصراحة: نرفض هذا الواقع، وأعلنوا عبر وسائل الاتصال الاجتماعى، الفيس بوك، تحديد يوم ٢٥ يناير، للتجمع فى الميادين العامة، فرأيت أفرادًا، كان يكفيهم تحديد اليوم والتاريخ بعيدًا عن خطب ودعوات رسمية، لأنهم كانوا فى انتظار ذلك اليوم ليجتمعوا بلهفة وتشوق للحرية والكرامة الإنسانية، فكان الطوفان البشرى، وكانت الثورة الناجحة، لكنهم عندما وجدوا بعض الشوائب التى عطلت مسيرتهم فى هذه الثورة، وهى شوائب فكرية حاملة للإرهاب، قاموا عندها بثورة تصحيح فى ٢٠١٣/٦/٣٠، ونجحت أيضًا، وكانت سعادة غامرة، مع ملاحظة أن المستوى الاقتصادى قد تدنى بسبب الوقت الذى تم إهداره فى التخلص من الشوائب، وكأن الثورة قد قامت أولاً من أجل الحرية والكرامة الإنسانية ثم لأجل الوضع الاقتصادى.

أما الملاحظة الأخرى، وهى الأصغر والأكبر والوسطى فى آن واحد، والتى نحن بصددها أساسًا، وهى رؤية الإنسان الفرد، وقدرته، عندما تتجمع القوة والحقيقة فى وجه الديكتاتورية، مهما كانت جبروتها، لأن الحقيقة الإنسانية والقوة المشتركة بين البشر كأفراد، أقوى من أىّ حكومة أو ديكتاتورية.

إذن، لماذا لا نعلن عن يوم يكون بمثابة ثورة، نعلن فيها تضامننا معًا كأفراد على مستوى العالم، وانحيازنا للإنسانية والسلام، ونطالب الحكومات أن يكون السلام من أولويات أعمالهم، ولن يتحقق هذا إلا بالأفراد، أنا وأنت أخى الإنسان، لنعلن ذلك قبل أن تعلنه الحكومات.

ثقافة الـ٢١

أخى الإنسان

بما أننا عرفنا أننا ضحايا تاريخ مظلم، وله ظروفه مقارنة بالحاضر الذى نعيشه، من رؤية واضحة لكل منا للآخر، ورغبتنا الواحدة فى سلام حقيقى، من خلال فكرة أو رؤية "الحل الفردى"، بأن يكون لنا ثقافة افتراضية مضافة، نقول فيها كلمتنا الواحدة، ورغبتنا الواحدة، أن يكون لها رمز نتقابل داخله، ونلتف حوله من خلال وسائلنا الاجتماعية فى الاتصال، وهذا الرمز أو علم، لكل ثقافات العالم، وهو الواحد والعشرون، انتماءً للقرن الذى نعيش فى بدايته، ليكون صفحة جديدة من هذا الزمن، لنضيف ونتبادل الأفكار والأساليب التى تخطو بنا جميعًا إلى طريق السلام والمحبة، وبذلك تشترك الملايين، وسيكون عندنا أفكار كثيرة جديدة، فلنبدأ أخى الإنسان، ولا نكون نسخًا مكررة لنا ولأولادنا، فنحن حلقة الوصل بين جيل وجيل، فلنكن فاعلين مستغلين مستحدثات هذا العصر أو ال٢١.

حكم المنطق

أخى الإنسان ننتظر من يحكم على الخلاف القائم بيننا وليس أحد غيرنا موجود على هذه الأرض مع معرفتنا الأكيدة بأننا لسنا المتسببين فى هذا الإرث القديم من مئات السنين بل آلاف ونحن فى القرن الواحد والعشرين، أن متوسط عمر كل منا سبعون سنة وحُكم علينا ونحن أجنة أن نكون من هذا الفصيل أو ذاك وإذا كان هذا الخلاف ليس له ضحايا أو خسائر ما تحدثنا عنه وما كانت قضية، ما كنت أقصد عدائك ولا تقصد عدائى إلى الآن، إذن المنطق يقول أنت برىء أنا أيضًا برىء مما نسب إلينا ولم نعترض عليه، وإذا قلنا هيا لنعترض سنعترض أمام من لتصحيح هذا الوضع وما وجه الاعتراض، إذن الحكم للمنطق بأن تبرأنى فى داخل نفسك وعند ذلك ستتغير أشياء كثيرة تلقائيًا فى سماء هذه الدنيا وأنا قد فعلت ذلك بكل سعادة وحب من أجلى ومن أجلك.

أخى الإنسان، إذا كنت الآخر بالنسبة لى، وأنا الآخر بالنسبة لك، تمنيت للمرة الثانية أن أكون كاتبًا محترفًا لأنقل رؤيتى إليك بكل أبعادها بصيغة أفضل، ولكن عليك ذلك، ولكن ما أتمناه منك سأبدأ به:

أنا لن أسمح، ولن أسمح على الأقل فى قرارة نفسى لأىّ إنسان على وجه الأرض أن يدعونى على عداءك، أو كراهيتك مهما كانت ديانتك أو عقيدتك، أو تحت أىّ مسمى، وذلك أول خطوات التقارب إليك، فطريق السلام طويل، ولكن سيختصر برغبتنا وعزمنا

على المضىّ فيه، لقناعتى بأن الحياة لن تكون جميلة بدونك، ونحن فى حالة عداء، وقناعتى القوية التى أراهن عليها بأن أمنياتنا واحدة، لأنك إنسان يتمنى لنفسه ولأسرته ووطنه الأمان والاستقرار، وأنا كذلك، الطعام على وجه الأرض يكفى الجميع، وكذلك الماء والهواء، والأرض تحمل الجميع، تقول لى الحياة ليست بهذه البساطة، وأقول لك، ولماذا لا؟! إذا كانت هذه الرغبة من كل فرد بعيدًا عن الحكومات والمؤتمرات، التى تدخل فيها أيدلوجيات كثيرة، فرغبتنا الشخصية فى السلام، ويكون قرارنا، فلن يمكن لأحد تعطيله، ونقطع الطريق على المتاجرين.

فأنا قد اتخذت قرارى، وأصبح حبى كبير جدًا جدًا لأن العالم كله عالمى، حتى إننى أعرف أن قدماى لن تخطوا كثيرًا، فنحن نحفر الأرض، ونضع فيها بذورًا، لنأكل منها ونستظل تحتها فيما بعد، فلنطع ذلك فى أنفسنا فقط للآخرين، والنتائج الإيجابية لذلك لن تكون لعالم آخر، بل لعالمنا، عالم القرن الواحد والعشرين.

الصفحة الأخيرة

أخى الإنسان، إذا كنت الآخر بالنسبة لى، وأنا الآخر بالنسبة لك، تمنيت للمرة الثانية أن أكون كاتبًا محترفًا لأنقل رؤيتى إليك بكل أبعادها بصيغة أفضل، ولكن عليك ذلك، وما أتمناه منك سأبدأ به أنا:

١-بأننى لن أسمح، ولن أسمح على الأقل فى قرارة نفسى لأىّ إنسان على وجه الأرض أن يدعونى على عداءك، أو كراهيتك مهما كانت ديانتك أو عقيدتك، أو تحت أىّ مسمى، حتى لو كان بيدك السلاح، وذلك أول خطوات التقارب إليك، فطريق السلام طويل، ولكن سيختصر برغبتنا وعزمنا على المضىّ فيه، لقناعتى بأن الحياة لن تكون جميلة بدونك، ونحن فى حالة عداء، وقناعتى القوية التى أراهن عليها بأن أمنياتنا واحدة، لأنك إنسان يتمنى لنفسه ولأسرته ووطنه الأمان والاستقرار، وأنا كذلك، الطعام على وجه الأرض يكفى الجميع، وكذلك الماء والهواء، والأرض تحمل الجميع، تقول لى الحياة ليست بهذه البساطة، وأقول لك، ولماذا لا؟! إذا كانت هذه الرغبة من كل فرد بعيدًا عن الحكومات والمؤتمرات، التى تدخل فيها أيدلوجيات كثيرة، فرغبتنا الشخصية فى السلام، ويكون قرارنا، فلن يمكن لأحد تعطيله، ونقطع الطريق على المتاجرين.

فأنا قد اتخذت قرارى، وأصبح حبى كبير جدًا جدًا لأن العالم كله عالمى، حتى إننى أعرف أن قدماى لن تخطو كثيرًا، فنحن نحفر الأرض، ونضع فيها بذورًا، لنأكل منها ونستظل تحتها فيما بعد، فلنطع ذلك

فى أنفسنا فقط للآخرين، والنتائج الإيجابية لذلك لن تكون لعالم آخر، بل لعالمنا، عالم القرن الواحد والعشرين.

المياه التى تقوم عليها الحياة جمع نقطة مياه

والقمح الذى يأكله العالم جمع سنبلة

والسلام الأكبر الذى نريده جمع قناعة كل إنسان به

الفهـــــرس